WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الرِّحلة العجيبة لنسخة من مصحف الخليفة عثمان في أرجاء المغرب والأندلس

بقلم

محمود بوعياد

بمشاركة

المجلس الإسلامي الأعلى

ENAG

EDITIONS

www.quranonlinelibrary.com

الرحلة العجيبة
لنسخة من مصحف الخليفة عثمان في أرجاء المغرب والأندلس

بقلم
محمود آغا بوعياد

بمشاركة

المجلس الإسلامي الأعلى

موفم للنشر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

01 13 04 /04
الإيداع القانوني 2004 / 2371
ردمك 6-391 62 9961
© موفم للنشر والتوزيع - الجزائر 2004

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الرحلة العجيبة
لنسخة من مصحف الخليفة عثمان في أرجاء المغرب والأندلس

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

من سورة الحجر، آية رقم 09

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المحتـــــــوى

الاختصارات المستعملة في ذكر الكتب (المصادر و المراجع)..... 11
تقديم..... 13
القسم الأول: قصة جمع القرآن العظيم..... 17
تمهيد..... 19
القرآن الكريم في عهد رسول الله (ص)..... 21
محاولة الجمع الأولى في عهد أبي بكر (ض)..... 24
جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان (ض)..... 28
إنجاز المصحف الإمام..... 34
حمل الناس على مصحف واحد..... 37
الوصف المادي للمصحف الإمام..... 41
مصير مصحف عثمان..... 50
القسم الثاني: الرحلة العجيبة لنسخة من مصحف عثمان.....
تمهيد..... 59
المصحف في قرطبة..... 61
المصحف في مراكش..... 67
المصحف في تلمسان..... 75
المصحف في فاس..... 79
المصحف في حوزة نصارى البرتغال..... 81
خاتمة في المطاف..... 83
القسم الثالث: المصادر والمراجع..... 91
المصادر والمراجع..... 93
ترجمة ملخص الكتاب إلى اللغة الفرنسية..... 1-9

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الاختصارات المستعملة في المصادر والمراجع

العنوان المختصر:	العنوان الكامل واسم المؤلف:
- الإتقان	الإتقان في علوم القرآن/جلال الدين السيوطي.
- الاستقصا	الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى/ أحمد الناصري السلاوي.
- أسد الغابة	أسد الغابة في معرفة الصحابة/علي بن الأثير الجزري.
- البرهان	البرهان في علوم القرآن/بدر الدين الزركشي.
- بُغية الروّاد	بُغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد/ يحي بن خلدون.
- تاريخ بني زيّان	تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان/ محمود آغا بوعياد.
- جامع البيان	جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري.
- الذيل والتكملة	الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة /محمد بن عبد الملك.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- صبح الأعشى	صبح الأعشى في صناعة الإنشا/ أبو العباس أحمد القلقشندي.
- طبقات ابن سعد	الطبقات الكبرى/ محمد بن سعد.
- العبر	كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر/عبد الرحمن بن خلدون.
- المسند	المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن/ محمد بن مرزوق.
- المصاحف	كتاب المصاحف/ أبو بكر السجستاني.
- نفح الطيب	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب/ أحمد المقــرّي التلمساني.

* * *

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تقديـــم

إن تنقّلات إحدى نسخ "المصحف الإمام" التي كُتبت بأمر من الخليفة الراشدي الثالث، عثمان بن عفان ﷺ، والتي كانت من حظّ الغرب الإسلامي (المغرب العربي الكبير والأندلس)، تشكّل قصّة شيّقة وعجيبة، وتستأثر بفكر القارئ، على غرار الروايات وقصص المغامرات ذات الوقائع الجذّابة الفتّانة التي تُنتجها عادة قرائح الروائيين، وكبار الأدباء. إنني لم أقف على مثل هذه المغامرات الغريبة، قد تعرّض لها كتاب من الكتب، منذ أن عرف الإنسان الكتابة والتأليف، وهذا رغم مسايرتي الطويلة للكتب المخطوطة والمطبوعة منها بحكم مهنتي كمكتبي طيل حياتي. نعم لا أعرف قصة شبيهة بقصّة هذا الكتاب الذي جاب الأقطار، وركب البحار، وقطع الفيافي والقفار، وتنازع الأمراء والخلفاء على اكتسابه، وخصّه كلّ من امتلكه بعناية فائقة، فكسوه بأندر الأقمشة، وأثمنها، ووشّوا غلافه بأنفس الأحجار الكريمة، وأغلى الجواهر والحُليّ، وحرصوا على اصطحابه معهم في حلّهم وترحالهم، محاطا بالبنود والرايات، ومحمولا على أفره الدواب، وقدّموه بين أيديهم في طليعة مواكبهم، علّهم ينتفعون ببركته، ويُبعدون عن جيوشهم ومحلاتهم كل البلايا والأخطار، ويجلب لهم المناعة والنصر.

وتعود صلتي الأولى بهذه القصّة غريبة الأطوار، إلى ذلك اليوم الذي كنتُ أقوم فيه بتحقيق القسم التاريخي من كتاب ***نظم الدّر والعقيان في بيان***

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

شرف بني زيان للحافظ محمد بن عبد الله التنسي، الذي قمتُ بنشره تحت عنوان ***تاريخ بني زيان ملوك تلمسان***. وقد جاء في الكتاب ذكر وجود نسخة من نسخ مصحف عثمان ﷺ في تلمسان عاصمة بني زيان، فلفت انتباهي ما ذكره المؤرخ التنسي، وعزمتُ على استقصا أخبار هذه النسخة من المصحف الإمـــام، ومعرفة مصيرها. فرجعتُ إلى عشرات المصادر من كتب التاريخ والأدب. فتجمّعت لديّ على مرّ الأيام، مجموعة كبيرة من الوثائق تمكّنتُ بفضلها، أن أتتبّع مراحل هذه القصة الغريبة، إلى أن وصلتُ إلى خاتمة مطاف النسخة المقدّسة. فأبيتُ إلا أن أطّلع على نتيجة بحثي الطويل في باطن المجلدات ومختلف الوثائق، أبناء وطني الصغير من المغرب العربي الذي كان مسرح هذه الأحداث، وأبناء الشطر الثاني من وطني الكبير في المشرق، منبع هذا الكتاب الكريم، حيث جرتْ الفصول الأولى من هذه الحكاية العجيبة.

ثم رأيت من المفيد أن أستكمل عرض هذه القصة بإضافة الفصل الأول من تاريخ هذا الكتاب، أي الفصل الذي يروي قصّة جمع القرآن الكريم على عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وهي قصّة شيّقة وجذّابة بدورها. وهي وإن كانت بعض جوانبها معروفة لدى المهتمّين بالموضوع، إلا أنني حاولتُ أن أقدّمها في ثوب جديد، مجرّدة من تعدّد الروايات واختلافها حول الموضوع الواحد، ومن الأحاديث المتشعّبة، ومن بعض التكرار، و أكثر من هذا، تجنّبتُ ذكر بعض التناقضات، التي امتاز بها أحيانا عدد من كتب القدامى التي كثيرا ما كانت تكتفي بعرض الروايات المختلفة، من دون الوقوف على أصحّها. فارتأيت أن أجعل في متناول الطلبة والباحثين، المراحل التي اجتازتها

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

نشأة أوّل كتاب عرفته العرب، وهو المصحف الذي سيكون منطلقاً للحضارة العربية الإسلامية، فتتّضح بذلك في نظرهم قصّة هذه النسخة من المصحف الإمام، قصّة نسخة كانت بداية مطافها في المدينة المنوّرة، بعد مرور ثلاثين سنة على التحاق الرسول ﷺ بجوار ربّه، وكانت خاتمتها في البحر الأبيض المتوسط قرب شواطئ الجزائر الحالية، بعد ثمانية قرون.

كان هدفي أن أقدّم لمجموع القرّاء العرب والمسلمين، وخاصة منهم الشباب، قصّة حقيقية، خالية كما قدّمتُ، من الروايات والتناقضات التي كثيرا ما يتيه القارئ في باطنها ويملّ، وخالية أيضا من أية إضافة، وأي تلفيق أو زخرفة. وما يجدر تأكيده هو، أنني قد اعتمدتُ على المصادر الإسلامية من التفاسير، وكتب علوم القرآن، والتاريخ، والآداب وعليها فقط، مراعيا بالطبع في البحث ثم في العرض، الأساليب الحديثة المطبقة في الأبحاث العلمية.

أتمنى أن أكون بهذه الطريقة، قد وُفّقتُ، في تقديم قصّة جذّابة، وفي الوقت نفسه، قصة تُمتّ بأوثق الصلات إلى ماضينا وتراثنا الحضاري. وبالله التوفيق.

الجزائر في 23 جمادى الثانية 1423هـ/ فاتح سبتمبر 2002م

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القسم الأول

قصّة جمع القرآن الكريم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تمهيـــــد

احتفظ التاريخ الإسلامي لأمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، بذكر عمل قد اعترف له بفضل إنجازه، القريب المؤيِّد، والمعارِض المناوئ، وهو قيامه بجمع القرآن الكريم بين دفتي كتاب واحد، وقراره وحمله الأمة كافة على اختلاف نزعاتها، على اتباع نصّ واحد من التنـــزيل. ومن المعروف أنّ المصحف العثماني كان أول كتاب عرفه العرب في تاريخهم، كما شكّل الكتابَ الذي ستنطلق منه كل الأبحاث، وكل العلوم في الحضارة العربية الإسلامية.

وإذا كان جلّ المؤرخين متّفقين على فضل عثمان في حسم الاختلافات في قراءة التنـــزيل، تلك الاختلافات التي لم تكن جديدة، وإنما تفاقمت بصفة خطيرة في زمانه، فإنّ قصّة جمع القرآن من يوم التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، إلى أن أنجز الخليفة الثالث "المصحف الإمام"، هي موضع روايات متضاربة، وحقائق يناقض بعضها بعضا، فيما يتعلّق بعدد من الأخبار والمعلومات. فقد يعثر الباحث مثلا في المصادر القديمة، وأحيانا في عدد من المراجع والأبحاث المعاصرة، على أقوال فحواها أن الخلفاء الراشدين الأربعة قد قام كل واحد منهم، بجمع القرآن الكريم، أو أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قام بجمع القرآن، ثم قام بجمعه أيضا بعده، عثمان بن عفان رضي الله عنه. ويجد الباحث مثل هذه الاختلافات، ومثل هذا التضارب حتى في أوثق المصادر القديمة وفي أهمها، ***كالإتقان في علوم القرآن*** لجلال الدين السيوطي، أو ***كتاب***

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصاحف للحافظ أبي بكر السجستاني[1]. ويسرد المصدران أحاديث تُثبتُ أخبارا تناقضها أحاديث وأخبار أخرى، جاء ذكرها قبل أسطر قليلة.

غير أن وجود المعلومات عن موضوع جمع القرآن الكريم بوفرة في مؤلفات القدامى، لا يعني أن الباب أصبح مسدودا في وجه الباحث الهادف إلى الاطلاع على حقيقة وقوع هذه الأحداث. فإنّ الأمر يحتاج على غرار الأبحاث التاريخية الأخرى، إلى غربلة الروايات والوقائع، وإلى اللجوء إلى النقد في استعمال النصوص القديمة، للتوصّل إلى تتبع مراحل قصة جمع كتاب الله العزيز في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهذا موضوع القسم الأول من الكتاب.

وبعد ذلك سنرافق نسخة من نسخ المصحف التي أُنجزتْ في ذلك العهد، في رحلتها العجيبة عبر أرجاء الغرب الإسلامي: المغرب الكبير بمقاطعاته الثلاث، والأندلس، كما سنرى في القسم الثاني من هذه الدراسة.

* * *

[1] انظر قائمة المصادر في آخر هذه الدراسة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ

من المعروف أن النبيّ ﷺ حرص حرصا شديدا على المحافظة على ما ينـــزل عليه من وحي واعتمد في ذلك على طريقتين تتضافران، كانت الطريقة الأولى هي الحفظ في الصدور. فكان ﷺ نفسه يحفظ ما ينـــزل عليه، وكان الصحابة يحفظون عن ظهر قلب، عددا من الآيات أو السور، لأداء الصلوات، ولترتيلها أيضا من حين إلى حين، تعبّدا وتقرّبا إلى الله. وسُمّي من كان منهم يحفظ القرآن الكريم كلّه أو قسما كبيرا منه، قارئا. وقد اشتهر العرب منذ القدم بحافظتهم القوية، وكانت حضارتهم في الجاهليـــة تعتمد على النقل الشفوي.

أما الطريقة الثانية التي استعملها رسول الله ﷺ للمحافظة على الوحي فكانت الكتابة، وقد حرص ﷺ على تدوين كلّ ما كان ينـــزل عليه من وحي. فكان كلّما نزلت عليه آية أو عدد من الآيات، دعا أحد الصحابة ممن كانوا يحسنون الكتابة، ليُملي عليه ما جدّ من الوحي[2]، و كان قد اتخذ من بين صحابته رضوان الله عليهم، كُتّاباً للوحي، و عدّهم بعض المؤرخين، فقالوا إن الذين كتبـــوا الوحي لرسول الله ﷺكانوا ثلاثة وأربعين، في مقدمتهم الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عنهم. وكان ألزم أولئك الكُتّاب بالنبيّ ﷺ، زيد

[2] مما يجدر التنبيه إليه أن القرآن لم يُكتب قبل الهجرة، وإنما شرع في استنساخ الآيات المنـــزّلة على المواد المتيسّرة حينذاك، بعد أن استقر رسول الله ﷺ في المدينة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بن ثابت الذي سيلعب دوراً هاما في قصّة جمع القرآن، وكان شابا من الأنصار، كتب لرسول الله ﷺ رسائله، وبعض عهوده، بالإضافة إلى التنـــزيل[3].

وقد استُخرِجَت المواد التي كان يُكتب عليها الوحي من البيئة المحيطة بالكُتّاب. فمن بين الأوعية التي كان يستعملها من يكتب، نذكر أهمها وهي أكتاف الحيوانات، وعسيب النخيل[4]، والأديم وهو الجلد المدبوغ، واللخاف وهي صفائح بيضاء وملساء من الحجارة[5]. وقد ورد ذكر مواد الكتابة هذه في النصوص التي يرجع عهدها إلى الصدر الأول للإسلام، وخاصة منها الحديث النبوي الشريف. قال زيد بن ثابت مثلا يوم قام بجمع القرآن كما سنرى لاحقا: "تتبّعتُ القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال"[6]. فإن هذا الحديث يؤكّد لنا وجود الطريقتين- الكتابة والحفظ- لمنع القرآن الكريم من الضياع، ويوجد حديث آخر يثبت حرص رسول الله ﷺ على كتابة الوحي. لقد جاء في الحديث أنه لما نزلت الآية: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله**﴾[7]، قال ﷺ: "ادع لي زيدا، وليجئ باللوح، والدواة، والكتف" ثم قال: " اكتب: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين...."[8].

---

[3] انظر عن زيد بن ثابت، طبقات ابن سعد، ج2، ص 358-362، وأسد الغابة، ج2، ص221 - 223 .

[4] عسيب ج عسب: غصن النخلة إذا قشر من خوصه أي ورقه.

[5] لعلها الشظايا من الكلس تكسّرت تحت تأثير الشمس الحارّة.

[6] من صحيح البخاري.

[7] من سورة النساء، آية رقم 95.

[8] من صحيح البخاري.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتضافرت الطريقتان- الاستظهار والكتابة- كما تقدّم ذكره للحفاظ على التنـــزيل، إلا أن الاعتماد على الحفظ كان أكثر، سواء في حياة رسول الله ﷺ، أو عبر تاريخ الأمة الإسلامية. وهكذا لم يَضِعْ شيء من القرآن الكريم، و لم يُضف إليه شيء أيضا، و لم يُشكّ في نجاعة هاتين الطريقتين حتى ألدّ أعداء الإسلام.

جمع القرآن الكريم

إن النبيّ ﷺ لم يقم بجمع القرآن كتابة، فترك يوم التحق بجوار ربّه، الأوعية المختلفة التي وقع تدوين القرآن عليها مفرّقة، بعضها في بيته ﷺ، وبعضها عند الصحابة من كُتّاب الوحي[9]. ويُرجِع بعض المؤرخين عدم قيام الرسول ﷺ بالجمع، إلى ترقّبه تواصل الوحي. فما دام من الجائز أن تنزل آيات جديدة لتأتي بأحكام، أو لتنسخ آيات، لم يكن في إمكانه ﷺ أن يجمع التنـــزيل كلّه في كتاب واحد. وما يجدر التنبيه إليه أن سبع ليال فقط تفرق بين نزول آخر آية، وبين وفاتـــه ﷺ. وقد قال الزركشي بهذا الصدد: "إنما لم يُكتب في عهد النبيّ ﷺ مصحف لئلا يفضى إلى تغييره كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ"[10]. وسيعود الفضل للقيام

---

[9] وجدنا حديثا شريفا لم نعثر عليه في الصحاح، انفرد بذكره الزنجاني بسند عن رواة شيعة إمامية، قال: "أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، في أثناء مرضه الأخير، قال: "يا علي، إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير، والقرطاس، فخذوه واجمعوه، ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة"، **تاريخ القرآن**، ص44.

[10] **البرهان**، ج1، ص262 .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بهذه المهمة الخطيرة إلى أصحابه رضوان الله عليهم، بعد أن انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وأوّل ما يسترعي الانتباه، وقد أشرنا إلى هذا في بداية هذه الدراسة، هو أنّ فضل جمع القرآن في كتاب واحد، أُسند إلى كل واحد من الخلفاء الراشدين الأربعة، وذلك ما ورد في الروايات المختلفة التي جاء ذكرها في عدد من جوامع الحديث الشريف، وفي كتب التفسير والتاريخ. وإذا استقصينا البحث في هذه الآثار، وقارنا ما بين الروايات التي تضمنتها هذه المؤلفات، استنتجنا من بحثنا، أنّ جمع القرآن عرف محاولتين، **الأولى** في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، **والثانية** في عهد عثمان بن عفان ﷺ، ذكرهما عدد من المؤرخين، والمفسرين، ومدوّني الحديث النبوي الشريف، وحظيتا باهتمامهم، بينما لا نجد دلائل مقنعة فيما يخصّ قيام عمر بن الخطاب، أو علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما، بجمع القرآن. وفي الواقع إن جلّ المصادر قد اكتفت بالإشارة إلى هذا الأمر الأخير دون تأكيده، ودون أن تفصّل في عرضه.

محاولة الجمع الأولى في عهد أبي بكر ﷺ

يُرجع المؤرّخون والمحدّثون فضل التفكير في جمع القرآن إلى عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان سببا في ظهور العديد من المنشآت والأنظمة، في الحضارة الإسلامية الناشئة. وقالوا إن ما دفعه إلى التفكير في هذا الأمر، استشهاد عدد من القرّاء في إحدى حروب الردّة، فهاله الأمر، وقلق على مصير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كلام الله المحفوظ في صدور القرّاء، وصدور غيرهم من المؤمنين، والمصون أحيانا في الأوعية المختلفة التي دوّن فيها الوحي قبل أن يترك رسول الله ﷺ دنياه لآخرته. لقد خاف عمر ﷺ أن يضيع شيء من القرآن الكريم، فتوجّه إلى أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ﷺ، فأطلعه عمّا يجول في نفسه من قلق، وعلى مخاوفه أن يضيع شيء من التنـــزيل، إذا هلك القرّاء كلّهم. واقترح عليه أن يأمر بجمع القرآن الكريم، فأفزعت الفكرة أبا بكر ﷺ لجدّتها، وقال لعُمر ﷺ: "كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟"[11].

ومازال عمر ﷺ يعيد الكرّة حتى أقنع أمير المؤمنين، فاستدعى زيد بن ثابت الكاتب السابق لرسول الله ﷺ، وقال له: "إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن، اجمعه".[11]

وبدوره استثقل زيد بن ثابت القيام بعمل لم يقم به رسول الله ﷺ، و لم يأمر به، وعلّق على المهمة التي كلّفه بها الخليفة بقوله: "والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل ممّا أمرني به من جمع القرآن."[12]

عرفنا هكذا أن الخليفة الراشدي الأول كلّف الكاتب السابق لرسول الله ﷺ، أن يقوم بجمع القرآن الكريم، حتى لا يضيع منه شيء[13]. أما عن سير

---

[11] من صحيح البخاري.

[12] المصدر السابق.

[13] ذكر السيوطي عن جمع القرآن، روايةً عن ابن قتيبة قال: " إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان". الإتقان، ج 1، ص 80.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العملية ونتائجها، فليس في متناولنا غير معلومات مشتتة في كتب الحديث النبوي الشريف والتاريخ. وممّا قال زيد بن ثابت في الموضوع، وقد مرّ ذكر هذا الكلام في مقام آخر، قال: "تتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال"[14].

ويذكر هكذا زيد بن ثابت أنه اعتمد في عملية جمع القرآن الكريم على مصدرين، هما الوثائق المكتوبة، و روايات القرّاء. وأورد السجستاني أن أمير المؤمنين أبا بكر الصديق ﷺ سطّر طريقة جمع القرآن، فقال لزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: "اقعدوا (كذا بالجمع) على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله، فاكتباه"[15]. وتؤكّد بعض المصادر أن زيداً اعتمد فعلا في تدوين القرآن على رواية شاهدين. فكانت الآية أو الآيات لا تُقبل إلا من صحابيين سمعاها من رسول الله ﷺ. وهكذا نلاحظ أن الكاتب السابق لرسول الله ﷺ ذهب بعيدا في التحرّي والخوف من ارتكاب الزَلل. فلم يكتفِ بتأكيد صحة النصّ المكتوب بالرواية الشفوية، والنصّ المحفوظ بالوثيقة المكتوبة ، بل كان يشفَع ذلك فيما يخصّ الحفظ، بشهادة اثنين من الصحابة، تلقّيا الآية أو مجموع الآيات، سماعا.

وما نعرفه عن مصير المهمة التي أسندت إلى زيد بن ثابت، أن ما جمع من كلام الله، "كانوا يكتبونه في الصحف، والألواح، والعسب"[16]، وإن

---

[14] من صحيح البخاري، وقد ذكرنا هذا الحديث أعلاه عند كلامنا عن الأوعية التي دوّن عليها الوحي.

[15] المصاحف، ص6 . وروى الخبر أيضا ابن أبي داود، انظر السيوطي، الإتقان، ج 2، ص58 .

[16] المصدر نفسه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الصحف التي جمع فيها زيد القرآن، كما أخبر بذلك هو نفسه، قد سلّمها للخليفة، فبقيت بحوزته إلى أن توفاه الله.[17] ونستخلص من هذا الكلام أن المهمة انتهت بتسليم الصحف لأمير المؤمنين، فلم يقم أبو بكر ﷺ بما سيقوم به عثمان بن عفان ﷺ، من نشر ما جمعه زيد بن ثابت من القرآن بين الناس، ومن حملهم على اتخاذ نصّ واحد، كما سنذكر في غير هذا الموضع، فما كان سبب ذلك؟ هل كان الامتناع عن فرض صيغة واحدة للنصّ القرآني على أفراد الأمة جميعهم، سببه شدة ورع الخليفة، وتردّده في القيام بما لم يقم به رسول الله ﷺ؟ أو هل رأى أن ما أنجزه زيد بن ثابت كافٍ للحفاظ على كلام الله؟ وما يجب التنبيه إليه هو أن الأخطار التي خاف عمر بن الخطاب أن تُعرِّض القرآن أو بعض القرآن للضياع، لم تبلغ بعد من الشدّة، ما ستبلغه في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ، كما سنرى. وهذا ما يدعونا إلى التأكيد أنّ محاولة جمع القرآن في عهد أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ﷺ، لم تزد على تدوين كلام الله في مجموعة من الصحف لم يبلغنا وصفها. كما أننا لا نعرف مادة هذه الصحف، ولا كيف كان مظهرها الخارجي. هل كانت على شكل صحف متفرّقة لم تُجمع؟ وإذا وقع جمعها، هل كانت على شكل لفّة اسطوانية على غرار أغلب كتب ذلك العصر؟ أم هل كانت على هيئة كراريس مجموعة بين دفّتين على شكل الكتب في زماننا، وقد وُجدت مثل هذه الكتب في ذلك العصر وقبل ذلك العصر؟ إن هذه المعلومات ليست في متناولنا، وهذا خلافا للتفاصيل التي أوردها المصادر المتعلّقة بعملية إنجاز مصحف عثمان بن عفان ﷺ،

[17] جاء عند السجستاني: "وكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتى توفي، ثم عند عمر حتى توفي، ثم عند حفصة زوج النبيّ ﷺ". المصاحف، ص9.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

كما سنذكر ذلك في محله. ويبدو في ضوء ما تقدّم، أنّ هدف أبي بكر الصديق ﷺ كان القيام بجمع ما كان متفرّقا من التنـــزيل، حتى لا تضيع آية من آيات الله، في حال إذا ما لقي حتفهم كلّ القرّاء من الصحابة أو جلّهم. و لم يحاول كما رأينا منذ حين، أن يجعل من الصحف التي نسخها زيد بن ثابت، كتاباً رسميا على حدِّ تعبير عصرنا، يفرض نصّه على الأمة بأجمعها.

ولا شك في أن لأبي بكر ﷺ فضلا كبيرا في هذه المحاولة الأولى لجمع القرآن، غير أن القرائن تدلّ على أن هذا العمل لم يتمّ، رغم أن أكثر من واحد من المؤرخين والمفسرين القدامى، تحدّثوا عن "مصحف أبي بكر"، وقلّلوا في الوقت نفسه من فضل أمير المؤمنين عثمان ابن عفّان ﷺ، حيث أنهم حطّوا من دوره، وجعلوا منه ناشرا وموزّعا للصحف التي كُتِبتْ في عهد الخليفة الأول، التي أطلقوا عليها اسم " مصحف أبي بكر". ورأينا من الأفضل حتى نتلافى التكرار، أن نرجئ الكلام عن دور عثمان ﷺ وفضله، ونأتي بالأدلة اللازمة لإثبات رأينا، إلى الفقرات الآتية، عندما سنتحدث عن أسباب إقدام عثمان بن عفان ﷺ على جمع القرآن، و عن مراحل إنجاز المصحف الإمام.

جمع القرآن في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ

قبل أن نتطرّق إلى موضوع المحاولة الثانية لجمع القرآن الكريم، نرى من اللازم أن نشير إلى موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من الأمر، يوم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تولى الخلافة. فمن الواضح، وهذا ما نلمسه من خلال أكثر المصادر، أن الخليفة الثاني الذي كان أول من تنبّه إلى احتمال ضياع قسم من كتاب الله العزيز، فألحّ على أمير المؤمنين أبي بكر ﷺ حتى يُقدِمَ على جمع ما في صدور القرّاء وغيرهم من الصحابة، لم يهتم بالأمر يوم وُلّي الخلافة. وهذا رغم أن بعض الآثار، وهي نادرة في الحقيقة، تذكر أنه قام هو أيضا بجمع القرآن، وتتحدّث عن"مصحف عمر". فما كان سبب عدم اهتمام عمر ﷺ بجمع القرآن؟ هل اعتقد أن ما قام به زيد بن ثابت في عهد أبي بكر ﷺ، كان كافيا لحفظ التنـــزيل من الضياع؟ أو هل لاحظ أن نصّ القرآن الكريم رغم استشهاد عدد من القرّاء في حروب الرّدة، لم يكن في الحقيقة، وهذا بعد نهاية هذه الحروب، معرّضا للزيادة أو النقصان؟ إننا متيقنون أن الخليفة الثاني على ما نعرف من يقظته وحزمه، لو أحسّ بخطر ما يهدّد القرآن الكريم، لما تردّد في مواجهة الأمر، وهذا رغم انشغاله الكبير بأمور المسلمين من فتوحات، ووضع أسس الدولة الجديدة.

ستعرف الأمة الإسلامية في عهد الخليفة الثالث أزمة نموّ عارمة، كان سببها اتساع الفتوحات، ودخول شعوب وأمم كثيرة إلى الإسلام، أو في حكم المسلمين. وإنّ هذه الأمم كانت لها معتقداتها الخاصة، ولغاتها، وثقافاتها، وطرق معيشتها. ولم ينجُ القرآن الكريم من أثر امتداد خريطة الإسلام، ودخول أقوام لم تكن العربية لغتها، إلى الدين الذي جاء به محمد ﷺ. فكان تحريفهم لكلام الله، أو اللحن في قراءته، شيئا متوقعا وطبيعيا. وزاد افتراق الصحابة من حملة القرآن في الأمصار، من خطورة الوضع. فكانوا أينما حلّوا، يعلّمون الناس

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن. وكان كلّ واحد منهم يقرأ حسب اجتهاده، ويلقّن مَنْ حوله مِنْ الجند أو المسلمين الجدد من أهل الأمصار، قراءة القرآن التي كان يجيدها. ومن المعروف أن النبيّ ﷺ كان قد أجاز الاختلاف في قراءة القرآن، فكان يقبل عدّة أوجه لقراءة الآية[18]. وعندما كان الصحابة يحتكمون إليه فيما يتعلق بالاختلافات التي كانت تتولّد عن قراءاتهم المختلفة، كان يقول ﷺ: "إن الله أمرني أن اقرأ هذا القرآن على سبعة أحرف"[19].

وقد اختلف علماء الدين اختلافا كبيرا في معنى هذا الحديث الشريف، إلا أن إباحة رسول الله ﷺ للقراءات المختلفة، هي أهم ما فيه، ولو أدّى ذلك إلى استعمال كلمة عوض كلمة أخرى، مرادفة لها، أو إلى إسقاط حرف أو زيادته.

ونودّ أن نذكر أنه لم يكن هناك نصّ واحد مكتوب للقرآن الكريم، يرجع إليه المسلمون متى اختلفوا في أمر من أمور دينهم أو دنياهم. فإن

---

[18] ذكر المؤرّخون وجامعو الحديث النبوي الشريف، عددا من الآثار في الموضوع، اخترنا منها الحديث التالي. قال الراوي: "قرأ رجل عند عمر بن الخطاب ﷺ، فغيّر عليه"، فقال: " لقد قرأتُ على رسول الله ﷺ، فلم يغيّر عليّ". قال: "فاختصما عند النبيّ ﷺ"، فقال: "يا رسول الله، ألم تقرئني آية كذا وكذا؟" قال: "بلى"، قال " فوقع في صدر عمر شيء، فعرف النبيّ ﷺ ذلك في وجهه". قال: "ضرب صدره، وقال: " أبعد شيطانا! قالها ثلاثا. ثم قال: " يا عمر إن القرآن كلّه صواب ما لم تجعل رحمة عذابا، أو عذابا رحمة".(**جامع البيان**، ج1. ص13).

[19] انظر شرح السيوطي لهذا الحديث الشريف، فممّا قال: "اختُلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولا" (**الإتقان**، ج1، ص 45). ومما قال أيضا: " نقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: "أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب..." (المصدر نفسه، ص47)، وراجع عن الآراء المختلفة المتعلقة بمعنى الأحرف السبعة، كتاب **مباحث في علوم القرآن** لصبحي الصالح، ص 105-124. وكذلك مقال فضل حسن عباس، **شبهات حول القراءات القرآنية**، في: دراسات: العلوم الإنسانية (عمّان)، 1988، ع 3، ص129 156.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الصحف التي جمعها زيد بن ثابت لأمير المؤمنين أبي بكر ﷺ، لم تنشر بين الناس كما رأينا، بل كانت حينما تولّى عثمان بن عفان ﷺ الخلافة، في بيت أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر ﷺ، لا يرجع إليها في الظاهر أحد، ولو كان من سكان المدينة. وكان لعدد من الصحابة رضي الله عنهم وخاصة منهم القرّاء، مصاحفهم [20]. ومن أشهرها مصحف عبد الله بن مسعود، وقد تبع قراءته أهل الكوفة، ومصحف أُبيّ بن كعب، وقد استعمله أهل الشام، بينما اتفق أهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري. وهكذا... وأهمّ الاختلافات الموجودة بين هذه المصاحف، كانت في وجوه القراءات، وإعراب أواخر الكلمات، وأحيانا في الألفاظ المترادفة، يستعمل بعضها بدلا من أخرى [21].

وقد اتّسعت شقة الخلاف على مرّ الأيام، وزادت الخطورة بسبب أمور ثلاثة هي: **اتساع الفتوحات** إذ أصبح الانصال غير متيسّر بين أعلام الصحابة الحاملين للتنـــزيل، الذين تفرّقوا في الأمصار في عهد أمير المؤمنين عثمان ﷺ. **والسبب الثاني** هو أن أُممًا مختلفة تجهل لغة القرآن، دخلت أفواجا في الإسلام، فزاد التحريف والتصحيف في القراءة، واشتدّت حدّة الخلافات، وكنا قد أشرنا إلى هاتين النقطتين فيما سبق من كلام. أما **السبب الثالث** فكان طريقة الكتابة

---

[20] نستعمل هنا كلمة "مصحف" تساهلا، إذ أنّ الكلمة لم تستعمل في الحقيقة بمعنى الكتاب الحاوي لكلام الله، إلا بعد أن أنجز عثمان ﷺ المصحف الإمام كما سنرى بعد قليل.

[21] مما قال المحاسبي في الموضوع، مشيرا إلى الفترة السابقة لإنجاز مصحف عثمان: "فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات". (**الإتقان**، ج1، ص60). ومن الملاحظ أن السجستاني خصّص نحو 100 صفحة من كتابه **المصاحف** (ص32-130)، لذكر هذه الاختلافات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العربية، إذ كانت في ذلك العهد من دون إعجام[22]، ومن دون حركات. فإذا كانت الآيات القرآنية المكتوبة على هذا الشكل، تكفي الصحابي العربي الذي كان يحفظ جزءاً من القرآن أو يحفظ القرآن كلّه، فإن عدم وجود الإعجام كان يجعل القراءة شاقة، أو شبه مستحيلة، بالنسبة لأكثر المسلمين من الأعاجم.

وقد اشتهر كلّ مِصْرٍ بقراءة الصحابي الذي نشر بين أهله طريقة قراءته القرآن. وعلى مرّ الأيام اشتدّ تعلّق أهل المصر بالقراءة التي لقّنهم إياها أحد الصحابة المقيمين في البلد، حتى بلغ الشقاق بين الناس، أن أصبح بعضهم يقول لغيره من أهل المصر الآخر: "قراءتي أحسن من قراءتك"، وبالغوا أحيانا في التعصّب حتى أصبح يكفّر بعضهم بعضا، بسبب طريقة قراءة القرآن، وكادت تقع فتنة بين المسلمين.

وعلم الخليفة في المدينة بذلك كلّه، وذكر السجستاني بهذا الصدد، أنّ عثمان ﷺ لما تفاقمت الخلافات في قراءة القرآن، قام في الناس خطيبا. ومما قال: "أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون. فمَن نأى عنّي من أهل الأمصار، أشدّ فيه اختلافا، وأشدّ لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إماما" [23]، أي كتابا جامعاً للقرآن الكريم، تتبعه الأمة جمعاء.

---

[22] نذكّر أن الإعجام هو تنقيط الحروف حتى يفرّق فيما بينهما. ومن المعروف أن الحروف كانت تكتب كلّها في الجاهلية وفي صدر الإسلام، من دون إعجام، ومن دون حركات.

[23] المصاحف ، ص21. ومن معاني كلمة " إمام" حسب القاموس: " ما امتثل عليه المثال، والدليل، والحادي".

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويذكر البخاري وغيره من رواة الحديث النبوي الشريف، أن حذيفة ابن اليمان[24] أحد قادة جيوش الفتوحات، هو الذي حمل الخليفة الراشدي الثالث، على الإقدام على جمع القرآن. وكان هذا الصحابي عائدا من عمليات فتح أذربيجان، في بلاد الفرس، حيث كان شاهد عيان لنقاش كبير بخصوص قراءة القرآن، بين أهل الشام، وبين أهل العراق من جيش الفاتحين، "فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة"[25].

وبمجرّد عودته إلى مقر الخلافة بالمدينة، يُقال قبل دخوله بيته، أسرع الصحابي إلى أمير المؤمنين، ينقل ما سمع وما رأى. فممّا قال له: "إنّ الناس قد اختلفوا في القرآن حتى والله لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلافات" [26]. ويُروى أيضا أن حذيفة قال لعثمان ﷺ: "أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى"[27]. وأخرج ابن أبي داود أنّ علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: "إن عثمان قال: بلغني أن بعضهم يقول قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا. قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقـــة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت".[28]

---

[24] صحابي كتب للنبيّ ﷺ، راجع سيرته في كتاب **قادة الفتح الإسلامي: بلاد فارس**، ص 107- 108.

[25] **الإتقان**، ج 1، ص59.

[26] **المصاحف**، ص21.

[27] **الإتقان**، ج1، ص59.

[28] المصدر نفسه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وأكبر الظن أن قصة حذيفة بن اليمان، مع روعتها وشدة تأثيرها، لم تكن كافية لدفع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، إلى ما أقدم عليه من جمع القرآن، وإلزام المسلمين كافة كما سنرى، على كتاب واحد سيُسمّى "المصحف الإمام". فإن الروايات الكثيرة، وقد رأينا منذ حين بعضها، تبيّن رغم فروق طفيفة بينها في سرد الأحداث، أن عثمان ﷺ كان قبل استصراخ حذيفة، على علم بهذه الاختلافات كلّها، وبصيرا بخطورة الوضع، وما قد يترتّب عليه من نزاع وشقاق في صفوف المسلمين، خاصة وأن الأمر يتعلّق بكلام الله. فواجه الموقف بإرادة وعزم لم نتعوّدهما على ما هو مشهور، من طرف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، في ظروف ومواقف أخرى.

إنجاز المصحف الإمام

لم يقم ثالث الخلفاء الراشدين بجمع كلام الله بحزم وقوة إرادة فقط، بل سلك في إنجازه منهجا نادر المثال في تلك العهود. فأول ما فعل هو أن طلب من أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، أن تسلّمه الصحف التي كان قد قام بنسخها زيد بن ثابت، بأمر من أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ﷺ، ووعدها بإرجاعها إليها متى تمّت عملية الجمع التي هو بصددها، لأنها تردّدت بادئ ذي بدء في التخلّي عنها. فكانت هذه الصحف مصدرا من المصادر التي اعتمدها جامعو مصحف عثمان ﷺ[29].

[29] راجع فيما يأتي موقفنا من المؤرخين والباحثين الذين قالوا أن دور عثمان ﷺ قد اقتصر على الأمر بنسخ الصحف التي كانت في حوزة حفصة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أما الخطوة الثانية التي خطاها الخليفة، فكانت تكوين لجنة من المطّلعين على القضية، وهي ما نسميها اليوم لجنة من الخبراء. وكان في مقدمتهم زيد بن ثابت كاتب رسول الله ﷺ السابق. ولقد التقيناه في مراحل إنجاز المصحف السابقة، في البداية يوم كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم في المرحلة الثانية، يوم عهد إليه أمير المؤمنين أبو بكر الصديق ﷺ بجمع القرآن الكريم، وها نحن نلتقيه في المرحلة الثالثة من تاريخ جمع كتاب الله. واختُلف في عدد أعضاء اللجنـــة التي ألّفها الخليفة، غير أن أغلب المصادر تذكر أنهم كانوا أربعة: ثلاثة من قريش وهم سعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث، والرابع زيد بن ثابت وهو، من الأنصار. وقد ذكرت المصادر أنّ عثمان سطّر لأعضاء اللجنة منهج عملهم. فممّا قال لهم: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أُنزل بلسانهم".[30]

ورُوي أنّ عثمان ﷺ خطب في الناس، يطلب منهم مساهمتهم في العملية التي أزمع على إنجازها، فممّا قال: " إنما قبض نبيّكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن، عزمتُ على من عنده شيء من القرآن، سمعه من رسول الله ﷺ، لما أتاني به".[31] وأضاف الرواة أن الناس جعلوا يأتونه بما لديهم من أكتاف، وعسب، وغيرها من أوعية الكتابة التي استعملتْ لتدوين الوحي

---

[30] المصاحف، ص20.

[31] المصدر نفسه، ص23.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في عهد رسول الله ﷺ، كما طلب الخليفة ممّن كانوا يحفظون القرآن كلّه أو يحفظون قسماً منه، أن يُمْلوا على اللجنة ما علق بصدورهم من التنـــزيل[32].

وشرع زيد بن ثابت ورفقاؤه من أعضاء اللجنة في عملهم، يجمعون الصحف المختلفة التي كُتبت عليها آيات من كلام الله، ويتلقّون سماعا من القرّاء وغيرهم من المسلمين ممن كانوا يحفظون عن ظهر قلب، عددا من الآيات والسور. وكانوا يُدَوّنون كلّ ما يعرض عليهم، جاعلين من صحف حفصة أساسا لتدوينهم الجديد للوحي.[33] وكانوا إذا اختلفوا في نصّ، أو شكّوا في صحة حرف أو كلمة، أرجأوا البتّ في الأمر إلى أن يرجعوا إلى من كان يحفظ الآية المختلف عليها. فإذا تحققوا من صحة الآية، رجعوا إلى ما بين أيديهم من نصّ فملأوا ما تركوا من فراغ[34]. وظلّ أمير المؤمنين يتابع بنفسه عمل أعضاء اللجنة عن قرب، يتفقدهم ويراقبهم، ويفصل فيما بينهم، إذا اختلفوا في قراءة كلمة أو آية.

---

[32] يقول السجستاني أن الناس لبّوا فعلا نداء الخليفة، فمما قال: " كان الرجل يجيء بالورقة والأدم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا، فناشدهم أسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم". ص24.

[33] انفرد الطيبي بالقول إن اللجنة لم تعتمد على صحف حفصة، وإنما اكتفت بالمقابلة بين نتيجة عملها وبين صحف حفصة. فممّا قال: "ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنّها إليها، فأعطته إياها. فعرض المصحف عليها". (جامع البيان، ج1، ص26).

[34] مما رُوي عن أنس بن مالك، قال: "كانوا إذا اختلفوا وتدارؤوا في أي آية قالوا: "أقرأها رسول الله ﷺ فلاناً"، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: "كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟" . فيقول: "كذا وكذا". فيكتبونها، قد تركوا لذلك مكاناً". (الإتقان، ج1، ص59).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهكذا تمت عملية جمع نصّ القرآن الكريم تحت إشراف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ. وقد لاحظنا أن طريقة اللجنة الرباعية التي أسند إليها الخليفة الأمر، جمعت بين النـــزاهـــة، والدقة، وكثرة التحرّي، مما جعل المسلمين جميعهم مهما تختلف مللُهم وشيعُهم، مرتاحين لعمل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ. فبفضل تطبيق هذه الطريقة في الجمع، ونظرا إلى مساهمة الناس في العملية، تيقّنوا أن شيئا من القرآن لم يضع، وأن شيئا لم يُضف إليه. وأما أعداء الإسلام حتى ألدّهم، فإنهم لم يجدوا ثغرة تتيح لهم الطّعن في صحة نصّ القرآن الكريم.

حمل الناس على مصحف واحد

وعندما أتمت اللجنة عملية جمع النصّ، أمر الخليفة أعضاءها بكتابة عدد من النسخ، من مجموع السور القرآنية التي دوّنوها. وقد اختلفت المصادر القديمة في هذا العدد. فقال بعضهم إنها كانت سبعا، وقال آخرون خمسا، غير أن الأغلبية قالت إنها كانت أربعاً. ثم أمر عثمان ﷺ بإرسال نسخة إلى الشام، والثانية إلى البصرة، والثالثة إلى الكوفة، واحتفظ بالرابعة لنفسه في المدينة. وأمر بإرجاع الصحف التي كان قد استعارها من أمّ المؤمنين حفصة، وكان قد وعدها كما رأينا سابقا، بإعادتها إليها، متى يتمّ جمع القرآن الكريم[35]. وحتى يقطع دابر الخلافات التي كانت الباعث على القيام بهذه العملية الثانية لجمع

[35] انظر فيما يأتي كلامنا عن مصير غيرها من الصحف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

التنـــزيل، أمر أمير المؤمنين بإتلاف ما سوى هذه النسخ الأربع للقرآن الكريم التي أنجزتها اللجنة الرباعية التي ألّفها لهذا الغرض.

ومن الملاحظ أن عثمان بن عفان ﷺ قام بما لم يقم به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من قبله، كما ذكرنا سابقاً. وكان حافزه على حمل الناس على نصّ موحّد، خطورة الخلافات في قراءة القرآن، وقد أشرنا إليها من قبل. ولم يكن الوضع نفسه زمن الخليفة الأول الذي أزمع على جمع القرآن لسبب مغاير، وهو خوفه من أن يضيع شيء من القرآن، أو أن يضاف إليه شيء[36].

ولم يتقبّل الصحابة جميعهم رضوان الله عليهم بصدر رحب أمر الخليفة بإتلاف الصحف التي كانوا قد كتبوا بأيديهم عليها الوحي في عهد رسول الله ﷺ، ولربّما استنسخوها بعد أن قُبض. ومن البديهي أن يتعلّقوا بها، ويحاولوا الاحتفاظ بها. وكان على رأس الناقمين على عثمان ﷺ الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ الذي كان من أحفظ الصحابة لكتاب الله، وقد نشر طريقته لقراءة القرآن بين أهل الكوفة كما مرّ ذكره، فرفض إحراق الصحف التي كان يملكها. ومن أسباب استيائه أيضا، أن الخليفة لم يشركه في عملية الجمع، وقد كان يعتبر نفسه من أعلم الصحابة بكل ما يتعلّق بالتنـــزيل[37]. فقام خطيبا في

---

[36] قال القاضي أبو بكر: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبيّ ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك...."(**الإتقان**، ج 1، ص60).

[37] من الروايات الكثيرة التي جاءت في الموضوع، نذكر الرواية التالية، قال ابن مسعود: "كيف تأمرونني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت من رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وأن زيدا ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان، لا والله ما أنزل من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله منّي، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل، أعلم بكتاب الله منّي، لأتيته". (المصاحف، ص16).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أهل الكوفة وطلب منهم أن يُخفوا ما بحوزتهم من صحف مكتوب عليها القرآن، وقد أفلتتْ فعلا بعض المصاحف من عملية الإتلاف التي أمر بها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.

أما أغلبية الصحابة فقد وافقوا حسب الأخبار الواردة في الكتب المخصّصة لدراسة تاريخ القرآن الكريم، وارتاحوا لما قام به عثمان ﷺ، من جمع الناس على نصّ واحد، وقراءة واحدة. وعلى سبيل المثال نورد ما رُوي عن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، في موضوع أمر عثمان بإتلاف مختلف الأوعية التي كان القرآن مكتوبا عليها، قال: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف، إلا عن ملإ منّا"[38] .

ويُروى أيضا أنه قال: "لو وليتُ لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان"[39].

وسواء كان هذا الكلام صحيحا أم لا، فإن تأييد جمهور الصحابة رضوان الله عليهم كان حقيقة، وحتى الشيعة فإنهم لم يخالفوا باقي المسلمين في اعتمادهم على مصحف عثمان، مع أن عددا من الأخبار الواردة في كتبهم، وكذلك في بعض كتب أهل السنة، تذكر أنّ عليا كرّم الله وجهه، قام من

---

[38] الإتقان، ج1، ص59.

[39] المصدر نفسه، ص60.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

جهته بجمع المصحف، وأن ذريته قد امتلكت مدّة طويلة، مصحفا نُسب إليه[40].

وإذا رجعنا إلى كتب التفسير الأولى، والكتب التي أُلّفت في تاريخ القرآن، وقد استعمل مؤلفوها كلمـــة المصاحف بالجمع، منها ***كتاب المصاحف*** لأبي داود السجستاني الذي كان من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها، للقيام بهذه الدراسة، لاحظنا أنّ نصّ المصحف العثماني، لم يُعمّم بمجرد كتابته، وإرسال نسخ منه إلى الأمصار، بل استغرقت العملية زمنا طويلا، إذ أن ابن النديم وصف عددا من المصاحف المغايرة للمصحف الإمام، وذكر أنه شاهد نسخا منها، وأورد الأخبار المروية عن بعض "الأئمة في القرآن والروايات"[41]. ومن المصاحف التي ذكرها، مصحف علي بن أبي طالب ﷺ الذي مرّ ذكره منذ قليل. وكان ذلك في القرن الرابع الهجري، إذ إن ابن النديم توفي سنة 390 هجرية. وأورد مؤلف ***الفهرست*** وغيره من المؤرّخين كالسجستاني مثلا، وصفا لهذه المصاحف المختلفة، وذكروا ما اختصّ به كلٌّ منها. وهكذا نلاحظ أن الجهود التي بذلها عثمان ﷺ لتوحيد قراءة القرآن الكريم، لم تعطِ ثمارها إلا على مرّ السنين والقرون، إذ أننا نصادف مصاحف غير المصحف الإمام بعد أربعة قرون من حمل الأمة على كتاب واحد. وما ذلك إلا لأن أهل الأمصار بقوا متشبّثين بقراءات الصحابة الذين علّموهم

---

[40] قال ابن النديم الذي عاش في القرن الرابع الهجري: "رأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رحمه الله، مصحفا قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب عليه السلام، يتوارثه بنو الحسن على مرّ الزمان". **الفهرست**، ص139.

[41] المصدر نفسه، ص133.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن، غير أن المسلمين في جميع الأمصار صدّوا شيئا فشيئا عن هذه المصاحف المغايرة لمصحف عثمان، فتوارت النسخ على مرّ الزمان واندثرت، حتى أنه لم تبقَ اليوم منها في مكتبات العالم أو عند الخواص، ورقة واحدة من هذه المصاحف المغايرة واختفت الاختلافات نهائيا على مرّ الأيام، وأصبح نصّ المصحف الإمام، مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، النصّ الوحيد المعتمد لدى كلّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مهما تكن فرقهم، ومهما تكن مذاهبهم.

الوصف المادي للمصحف الإمام

بقي لنا أن نشير إلى المكوّنات المادية والمظهر الخارجي للكتاب الذي أنجزته اللجنة الرباعية التي ألّفها الخليفة الراشدي الثالث. فعلى أية مادة كتب؟ وبأي خطّ؟ وكيف كان شكله الخارجي؟ أسئلة يمكن الإجابة عن أكثرها، بفضل الأخبار المتفرّقة التي أوردتها بعض المصادر القديمة.

لقد ذكرت هذه الوثائق أن القرآن الكريم كُتب على صحف كبيرة الحجم من الرّق، وكان الرّق مادة كتابة نادرة، وغالية الثمن، في ذلك العهد[42]. أما عن الحجم، وعن بعض المظاهر المادية، فقد وصلتنا تفاصيل ثمينة، أوردها محمد بن مرزوق التلمساني، وعزاها إلى محمد بن هيمان السدوسي

[42] نذكّر أن الرّق كان يُصنع من جلد بعض الحيوانات وخاصة الغزال عند العرب، بعد أن يصقل صقلا مطوّلا. ويقول القلقشندي عن موضوع كتابة المصحف على صحف من الرّق: "أجمع رأي الصحابة رضوان الله عليهم على كتابة القرآن في الرّق، لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم".(**صبح الأعشى**، ج2، ص475).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الذي قال، بعد أن ذكر أنه رأى سنة 233 هـ نسخة من المصحف الإمام: "فشبرتُ طول المصحف، فإذا هو شبران وأربع أصابع مفرقة. وعددتُ سطور بعض ورق المصحف، فإذا في الرّق ثمانية وعشرون سطراً، وفي بعضه سبعة وعشرون سطراً" [43]. فيكون هكذا مقياس طول الورقة نحو خمسة وثلاثين سنتمترا، وهو حجم الكتب الكبيرة. ويؤكّد ابن الأثير هذا الكلام فيقول: "رايته كتابا عزيزا، جليلا، عظيما، ضخما، بخطّ حسن مبيّن قوي، بحبر محكم، في رقٍّ أظنه من جلود الإبل"[44]. أما المصحف المحفوظ في مسجد الإمام الحسين بالقاهرة، الذي يُظن أنه أحد المصاحف التي أمر عثمان بن عفان ﷺ بكتابتها، فإن واصفه ذكر أنه من الحجم الكبير، فتحدّث عن" ضخامة حجم الصفحات التي يصل ارتفاعها إلى نصف المتر، وعرضها 60 سنتمتراً"[45].

أما الخطّ فهو الخطّ المربّع الذي سيُسمّى بالخطّ الكوفي بعد أن تُدخل عليه تحوّلات وتطوّرات[46]. وكانت الكتابة خالية من كل إعجام، فلم توضع النقط تحت أو فوق حروف المصحف كلّها لتفرّق بينها، كما كانت الحروف مجرّدة أيضا من الحركات. وهكذا كُتبتْ الآيات كلّها بحروف كبيرة عارية من

---

[43] المسند، ص458.

[44] فضائل القرآن، ص 49.

[45] راجع المقال: مخطوط نادر للقرآن الكريم بالقاهرة. في جريدة: الشرق الأوسط، عدد 3580، المورخ في 16 سبتمبر 1988.

[46] من الملاحظ أن الخط الكوفي استعمل دون غيره مدّة القرون الثلاثة الأولى للهجرة في استنساخ المصاحف، وبعض الكتابات التذكارية على جدران المساجد وفي النقود. أما الخط المستدير المستعمل في الحياة اليومية، والذي ستتفرع عنه خطوط كثيرة كالنسخي مثلا، فلم يكن له من الجلال في نظر الجمهور في صدر الإسلام، ليكون أهلا لينسخ به كتاب الله، واستمر الوضع على هذه الحال حتى القرن الرابع الهجري حين شُرع في نسخ المصاحف بالخط النسخي أيضا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كلّ تنقيط وشكل. وقد امتاز المصحف الإمام أيضا بخلوه من أسماء السور، ومن الفواصل بينها، كما أنه خلا خلوّا تاما من الزخرفة والزينة[47].

وقد قام بكتابة المصاحف الأربعة التي أرسل عثمان ﷺ ثلاث نسخ منها إلى الأمصار، واحتفظ بالرابعة في المدينة، كما سبق ذكره، أعضاء اللجنة الأربعة الذين قاموا بجمع كلام الله[48]. أما ما ذكره بعض المؤرخين من أن الخليفة عثمان ﷺ قد قام كذلك بكتابة إحدى النسخ الأربع، ويذكرون على الخصوص النسخة التي احتفظ بها في المدينة، فإننا لا نجد لهذا القول مستندا في المصادر القديمة، ومن بينها كتب الحديث النبوي الشريف. وقد نفى الأمر منذ القدم بعض رجال العلم، ونذكر منهم أبا القاسم التجيبي السبتي[49] الذي قال: "مما أتعقبه على ابن عبد الملك[50] وغيره ممن تقدّمه، أنهم يقولون في وصفه: "مصحف عثمان الذي خطّه بيمينه". وهذا وهم، فإن عثمان ﷺ لم يخط واحدا منها بيمينه فيما علمتُ، وإنما اجتمع على كتبها جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ حسبما هو مكتوب على أول ورقة منه: "هذا ما اجتمع عليه

---

[47] يمكّننا خلّو المصاحف الأولى المكتوبة في المدينة في عهد عثمان بن عفان ﷺ من الفواصل بين السور كما سنرى، من تمييزها من النسخ التي ادّعى مالكوها أو مشاهدوها على مرّ القرون، أنها إحدى النسخ الأربع التي أمر الخليفة الراشدي الثالث بكتابتها. ومن الملاحظ أن الزخرفة لم تدخل في كتابة المصاحف إلا في القرن الثالث الهجري.

[48] قال السيوطي: "فأمر عثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف". (**الإتقان**، ج1، ص59).

[49] توفي الرحالة أبو القاسم التجيبي السبتي سنة 730 هـ/ 1329 م، وخلّف رحلة وبرنامجا.

[50] محمد ابن عبد الملك مؤلف كتاب **الذيل والتكملة**، توفي سنة 703 هـ/ 1303م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث"[51].

وقد امتاز هذا الكتاب الأول الذي عَرفته العرب منذ فجر التاريخ، ومنه ستنطلق حضارتهم العربية الإسلامية، بكيفية تسفيره[52]. فخلافا للنصوص القصيرة التي كانت العرب تكتبها، أو الكتب الموجودة في الحضارات السابقة أو المعاصرة التي كانت تأتي في الغالب على شكل لفائف، فإن نسخ المصحف الإمام قد جمعت ثم سُفّرت على هيئة كراس أي أوراق مخيّطة من جهة واحدة وموضوعة بين لوحتين أو دفّتين كما كان يسميهما القدامى. ويقال إن العرب قد استمدوا طريقة التسفير هذه من أهل الحبشة[53].

ومما لاشك فيه أن الصحابة رضوان الله عليهم، قد واجهوا مشكلة خطيرة أمام ضخامة النصّ القرآني، بالنسبة لما تعوّدوه من نصوص قصيرة، كانوا يكتبونها في نطاق حياتهم اليومية، أو معاملاتهم التجارية. فما كان بإمكانهم أن يجمعوه على هيئة لفائف، فلو فعلوا لبلغت اللفائف مئات الأمتار. ولهذا بحثوا على شكل مبتكر وملائم للكتاب الجديد الذي كان بأيديهم، فاهتدوا إلى هذه

---

[51] المسند، ص459-460.

[52] نستعمل هنا الكلمة الشائعة في الغرب الإسلامي في الماضي وهي كلمة تسفير، عوض كلمة تجليد، ونعتبر كلمة تسفير أنسب وأدقّ.

[53] نجد في رسالة فخر السودان على البيضان للجاحظ، أن الزنج فاخروا العرب بثلاثة أشياء منها تسفير المصحف، فقالوا: "وهو أوقى لما فيه، وأحصن له وأبهى، وأهيأ". (رسائل الجاحظ، ج1، ص202).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الطريقة المعمول بها عند جيرانهم أهل الحبشة [54]. ومن الواضح أن تسفير الكتاب العربي الأول كان بسيطا جدا: أوراق مثقوبة من ناحية واحدة، ولوحتان نظنّهما كانتا من الخشب مثقوبتين أيضا، وخَيط يُمرّر في هذه الثقوب كلّها، ويُعقد فوق اللوحتين.

ويُفهم من النصوص التي بين أيدينا، أن مصحف عثمان ﷺ كان بسيطا من جميع الأوجه، في أوراقه الداخلية الحاملة للنصّ القرآني، وفي مظهره الخارجي، وهذا خلافا للمصاحف الفاخرة التي أنجزها الفنانون المسلمون في القرون الموالية، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فبذلوا الجهود لكتابة الصحف بأرقى الخطوط وأجملها، وتفنّنوا في تنميقها، وتلوينها، وتذهيبها، كما اعتنوا عناية فائقة بتسفير المصاحف بأرقى الجلود التي خصّوها أيضا بأفخر وسائل الزخرفة، والتذهيب، والترصيع، فأصبحت تحفا فنية يسعى الملوك والأثرياء إلى اقتنائها، والتباهي بامتلاكها. ولنا مثال ساطع في العناية بنسخة المصحف الإمام التي طافت أرجاء الغرب الإسلامي، وتنافس الخلفاء والأمراء في المغرب والأندلس على امتلاكها، كما سنرى فيما يأتي، في القسم الثاني من هذه الدراسة.

[54] كانت طريقة الكراس المخيط من جهة واحدة معروفة عند الرومان أيضا، وكانوا يسمّون الكتاب المسفّر على هذا الشكل "الكوديكس"، وكانت هذه الطريقة مستعملة عندهم، إلى جنب اللفائف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وشعر الصحابة بالحاجة إلى تسمية المولود الجديد الحاوي لكلام الله، فاتفقوا على تسميته بالمصحف، ويقول القلقشندي في هذا الشأن : "وسُمّي المصحف مصحفا لجمعه الصحف"[55].

ومع أن بعض المصادر القديمة أطلقت كلمة مصحف على مجموع الصحف التي دُوّنت عليها بعض السور والآيات القرآنية، والتي كانت في حوزة عدد من الصحابة رضوان الله عليهم قبل قيام الخليفة عثمان ﷺ بإنجاز المصحف الإمام، فإن معظم المحدّثين والمؤرّخين قد اكتفوا بتسميتها صحفا. وقد حدّثونا عن الصحف التي سلّمها زيد بن ثابت لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، بعد أن انتهى من عملية الجمع التي كلّفه بها الخليفة كما تقدّم لنا[56]. ورأينا أن عثمان ﷺ طلب من أم المؤمنين حفصة أن تسلّمه الصحف التي كانت في بيتها، وأطلق بعضهم كلمة الصحيفة على هذه الصحف التي كانت في حوزة حفصة[57]. ونجد عند السجستاني تفريقا واضحا بين كلمة "صحف" وكلمة "مصحف"، فيقول متحدّثا عن القرآن: "فجمعوه في الصحف في خلافة أبي بكر".ثم يقول بعد سطور: "فوفّق الله عثمان فنسخ تلك الصحف في المصاحف"[58].

---

[55] صبح الأعشى، ج2، ص475.

[56] تستعمل بعض الآثار كلمة "قراطيس" و"كتب" فيما يخص الصحف التي كتبها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، راجع المصاحف، ص 9،

[57] يذكر السجستاني أن عثمان "أرسل إلى حفصة، فاستخرج الصحيفة التي كان أبو بكر أمر زيدا يجمعها"، المصدر نفسه، ص21.

[58] المصدر نفسه، ص23.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ونجد التفريق نفسه عند الطبري الذي قال: "ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردّنها إليها، فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها"[59]. وقد أوردنا هذا الكلام في غير هذا الموضع.

ولهذا جاز لنا أن نقول، إنه رغم قول بعض المؤرخين مصحف أبي بكر، ومصحف عبد الله بن مسعود وغيرهما، فإننا متيقّنون أن هذه التسمية لم تطلقْ على مثل هذه الوثائق إلاّ بعد أن تمّ جمع المصحف الإمام كما سبق أن ذكرنا. ثم آثر الناس إطلاق هذه الكلمة حتى على الصحف القديمة، لأن معناها دقيق، ولم يكن لهم غيرها للدلالة على الكتاب المتضمن للقرآن الكريم.

وكيفما كان الأمر، فإن الذي يعنينا هو أن الكتاب الجامع لِما أنزل على رسول الله ﷺ من كلام لله سُمّي مصحفا، ومع أن الاسم مرادف لكلمة "كتاب"، فإن كلمة "مصحف" أصبحت تعني مع مرّ الزمان، كتاب الله فقط.

* *
* * * *

وهكذا رأينا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ جمع الناس على نصّ واحد للقرآن الكريم، وعلى قراءة واحدة، وكان فضله على الإسلام وعلى الأمة الإسلامية عظيما. ولا نساير هنا من حطّ عن قصد أو غير قصد، من فضل الخليفة الراشدي الثالث، مدّعين أن دوره اقتصر على إعطاء الأمر

[59] جامع البيان، ج1، ص 26 .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

باستنساخ الصحف التي كانت بحوزة أمّ المؤمنين حفصة، في عدد من المصاحف، ليوزّعها على الأمصار[60]، فإن القرائن كلّها تدلّ على أن ما قام به عثمان ﷺ، مع أنه جعل من صحف حفصة منطلقا وأساسا لإنجازه، لم يكن مجرد عملية نسخ. ولإثبات هذا الرأي، نعتمد على الدلائل التالية:

- أمام الأخطار الناجمة عن الاختلاف في قراءة التنـــزيل، فإن أبطال قصة جمع القرآن هذه، سواء منهم الخليفة نفسه، أو من استصرخه لإنقاذ الأمة قبل أن تختلف في كتاب الله، لم يفكّروا في استنساخ صحف حفصة فحسب، بل نادوا إلى وضع "مصحف إمام"، كما رأينا.

- لو كان عمل عثمان ﷺ عملية استنساخ لمصحف حفصة فقط، لما احتاج إلى المساعي والإجراءات التالية:

- تأليف لجنة من كتّاب الوحي، كلّفهم بالقيام بجمع القرآن،

- إعطاء تعليمات في حالة احتمال وقوع خلاف بين أعضاء هذه اللجنة كما سبق أن ذكرنا. فإن احتمال وقوع خلاف يعني أن عمل أعضاء اللجنة لم يكن مجرد استنساخ،

- توجيه نداء من الخليفة إلى المسلمين، يطلب منهم أن يأتوه بما لديهم من نصوص،

---

[60] يقول السيوطي مثلا: أن عثمان " أرسل إلى حفصة " أن أرسلي إلينا الصحف نسخها في المصاحف ونردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر (....)، فنسخوها في المصاحف".(**الإتقان**، ج1، ص 59) . ونجد عند الزركشي المعنى نفسه، (**البرهان**، ج1، ص239). وذهب أيضا هذا المذهب بعض الباحثين المعاصرين، نذكر منهم على سبيل المثال، إبراهيم الأبياري في كتابه **تاريخ القرآن**، (ص88) وبكري شيخ أمين في كتابه **التعبير الفني في القرآن**، (ص38)، وأخيرا محمد قيسي في كتابه **تدوين القرآن الكريم**، (ص23).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- قيام أعضاء اللجنة بعملهم بكثير من الجدّ والتحرّي، حتى أنهم كانوا إذا شكّوا في صحة نصّ آية أو قراءتها كما تقدّم، أرجأوا البت فيها، وتركوا بياضا في النصّ الذي كانوا بصدد تدوينه، إلى أن يجدوا القارئ الذي يعرف تلك الآية.

و قُصارى القول إنّ عملية الجمع التي قام بها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر ﷺ، لو انتهت بجمع كلام الله بحذافيره، ولو كان عمل عثمان ﷺ مقتصرا على استنساخ الصحف التي جُمعت في المحاولة الأولى، لما احتاج الخليفة الراشدي الثالث إلى هذه الإجراءات كلّها. وإننا نعتبر هذه الحجج كافية لإثبات فضل عثمان ﷺ في بذل المجهودات والمساعي، لجمع القرآن الكريم، هذا فضلا على حمله الناس على اتباع مصحفه دون سواه، وهذا ما لم يفعله الخليفة الأول. وقد فرّق منذ القدم بعض علماء الدين بين محاولة أبي بكر ﷺ، وبين العملية التي أسفرت عن إنجاز المصحف العثماني. ويروي السيوطي مثلا في هذا الموضوع ما يلي: قال ابن التين وغيره: "... إن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف، مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبيّ ﷺ، جمْع عثمان كان لمّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على تساع اللغات..."[61]

[61] الإتقان، ج1، ص 59-60.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مصير مصحف عثمان

إذا كانت أقوال المحدّثين والمؤرّخين متضاربة فيما يتعلّق بأخبار جمع القرآن، فإننا نلقى تضاربا أشدّ في المصادر والمراجع المختلفة قديمها وحديثها، حول مصير النسخ الأربع، أو الخمس، أو السبع، التي كُتبت في المدينة المنوّرة عندما تمّ عمل اللجنة الرباعية التي كلّفها الخليفة عثمان ﷺ بجمع القرآن ثم بنسخه. فإن المصادر القديمة أوردت عددا من الروايات، يذكر فيها أصحابها، أنّهم رأوا إحدى النسخ الأربع في مسجد أو مكتبة أو في قصر سلطان، في أكثر أرجاء العالم الإسلامي، ابتداءً من أقصى الشرق بآسيا الوسطى، إلى الأندلس والمغرب، في أقصى الغرب. وقد تداخل كلام المؤرّخين والرحّالة والأدباء الذين قالوا إنهم شاهدوا بأنفسهم إحدى تلك النسخ، أو أوردوا رواية من قال أنه شاهدها. وإنّ لهذه الأقوال والادعاءات مبرّراتها، إذ لاشك في أن أكثر المشاهدين والرواة كانوا صادقين، وإننا نلقى تفسيرا لإرجاع المسلمين المصاحف القديمة التي كانت في حوزتهم إلى عهد الخليفة عثمان. فممّا لاشك فيه أنّ المسلمين في الأمصار أسرعوا إلى استنساخ المصحف الإمام الذي أرسله إليهم أمير المؤمنين عثمان ﷺ من المدينة، وممّا لاشك فيه أيضا، أن النسّاخ قد بذلوا قصارى جهدهم للحفاظ على الصورة التي وصلهم عليها المصحف الإمام، فقلّدوا الخطّ، والحجم، وعدد السطور، ولربّما قلّدوا نوع الورق في المصاحف التي نسخوها في مختلف الأمصار مشرقا ومغربا. ونستدلّ لإثبات هذا الكلام، بما أبدى نسّاخ المصاحف من تحرّج وامتناع، عن قبول أي تعديل

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

لكتابة المصاحف عندما عزم أولو الأمر والاختصاص من الأمراء والعلماء في العصر الأموي، على إدخال بعض الإصلاحات على هذه الكتابة التي كانت خالية كما تقدّم لنا، من الإعجام والشكل.

وعلى مرّ الزمان أصبح المالكون المتتاليون لهذه المصاحف التي تمّ نسخها على نمط النسخ الأولى للمصحف الإمام، يعتبرونها من النسخ التي كُتبت في المدينة المنوّرة على عهد الخليفة الراشدي الثالث، وذلك تعلّقا، وتبرّكا بهذا المصحف الإمام الذي أشرف على جمعه، وقام بكتابته، صحابة رسول الله ﷺ وخلفاؤه. ومن أجل ذلك نجد بين أيدينا شهادات مختلفة لعدد من العلماء وأصحاب الرحلات، يذكرون فيها أنهم رأوا أحد هذه المصاحف. ويذكر بعضهم أنهم رأوا النسخة التي أرسلها أمير المؤمنين إلى الشام، وبعضهم وهم الأغلبية، يقولون إنهم رأوا النسخة التي كان يقرأ فيها عثمان بن عفان ﷺ في الوقت الذي اغتاله فيه المتمرّدون من أهل الأمصار، فتلطّخت بعض أوراقها بالدماء. ومنهم طائفة تزعم أنها رأت أثر نقط الدم التي سقطتْ على موضعين من المصحف[62]، الأول قوله تعالى: **﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾**[63]، والثاني قوله الآخر: **﴿فعقروا الناقة﴾**[64]. وقد ردّ العلماء منذ القدم على هذه المزاعم. وعلى سبيل المثال، ينقل محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني

---

[62] نذكر من بين هذه الطائفة الرحّالة ابن بطوطة الذي ذكر في رحلته (ج2، ص10-11) أنه رأى في مسجد البصرة المصحف الذي كان يقرأ فيه عثمان ﷺ يوم قتل، وعليه أثر الدم.

[63] من سورة البقرة، آية رقم 137.

[64] من سورة الأعراف، آية رقم 77.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عن ابن عبد الملك الذي مرّ ذكره، تعقيبه على هذا الكلام المتعلّق بسقوط يد على الموضعين المذكورين، فيقول: "وهذا كما تراه، وهو ظاهر التصنع"[65].

أما عن وجود نسخة المدينة المنوّرة التي زعم بعضهم أنه شاهدها خارج جزيرة العرب، فقال ابن عبد الملك هذا: "فإن المتقرّر من شأن مصحف عثمان، أنه ضاع بالمدينة في بعض الفتن الطارئة عليها"[66].

و في الحقيقة، إن بعض المؤرّخين والرحّالة يخلطون بين نسخة الشام، وهي إحدى النسخ الثلاث التي أرسلها الخليفة عثمان ﷺ إلى الأمصار، كما رأينا سالفا، وبين النسخة التي تركها الخليفة في المدينة، وكانت بين يديه يوم لقي ربّه. وأما الشائع بين هذه الشهادات فهو أن أصحابها يذكرون أنهم رأوا النسخة الشامية. فهذا أبو القاسم التيجيي السبتي يؤكّد أنه رأى المصحف الشامي في دمشق ويقول في شأن ذلك: "وقد عاينتُه هناك في صدر سنة سبع وتسعين وستمائة، كما عاينتُ المكّي أواخر سنة ست وتسعين...وقد عاينتهما مع الذي بالمدينة"[67].

---

[65] المسند، ص 458.

[66] المصدر نفسه، ص 459.

[67] المصدر نفسه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وفي القرن الثامن الهجري يذكر ابن الأثير، وقد مرّ قوله هذا، أنه رأى النسخة الشامية، فقال: "أما المصاحف العثمانية الأئمة، فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق. وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما..."[68].

ويذكر ابن فضل الله العمري على سبيل المثال، أنه رأى في مسجد دمشق أيضا، "المصحف العثماني بخطّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ"[69]، ويخبر غيره وهم كُثُر، أنهم رأوا المصحف الذي كان ملكا لعثمان، أو المصحف الشامي في أماكن أخرى من العالم الإسلامي[70].

ولابد أن نشير في النهاية إلى موقف الأخصائيين من هذه النسخ من "المصحف الإمام" التي جاء ذكرها عند المتأخّرين نسبيا، في عدد من كتب المؤرّخين والرحّالة، ومنها نسخة جامع عمر و في القاهرة، التي نقلت إلى دار الكتب المصرية حيث هي محفوظة حاليا[71]، والنسخة المحفوظة في متحف "طوبكابي" في استنبول بتركيا، والمصحف الموجود في مسجد الحسين بالقاهرة، والنسخة الأخيرة الموجودة في متحف تاريخ شعوب الجمهورية في مدينة طاشقند عاصمة أوزبيكستان، و قد صُوّر من هذه النسخة عدد قليل من النسخ، وُزّعت على بعض المكتبات في العالم، منها نسخة في دار الكتب

---

[68] **فضائل القرآن**، ص49، وقد ذكرنا أعلاه الشطر الأخير من هذا الكلام في حديثنا الخاص بالمظهر الخارجي للمصحف..

[69] **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج1، ص195. وقد سبق أن علقنا على كتابة المصحف بيد عثمان.

[70] يقول على سبيل المثال الصفاقسي في كتابه **غيث النفع في القراءات السبع**، متحدثا عن مصحف عثمان:"ورأيت فيه أثر الدم وهو بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة" (ص230). ومن هذه المصاحف التي ذكر أصحابها أنها إحدى النسخ الأربع الأصلية التي دونت في المدينة، النسخة التي طافت في أرجاء الغرب الإسلامي التي خصّصنا لها القسم الثاني من هذه الدراسة.

[71] تحمل هذه النسخة الرقم "204 مصاحف" في المكتبة المذكورة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصرية بالقاهرة[72]، ومنها النسخة التي كانت من حظ المغرب الإسلامي والأندلس كما سنرى فيما بعد، والتي أثبت مالكوها ومشاهدوها وعدد من الباحثين، أنها النسخة التي كانت بين يدي أمير المؤمنين عثمان ﷺ يوم اغتيل، وقد تلطّخت بعض أوراقها بدمه.

اتفق الأخصائيون على نفي صحة إرجاع النسخ التي وصفها مشاهدوها إلى عهد الخليفة الراشدي الثالث، معتمدين في إثبات ذلك على وصفها المادي. فإن كلّ النسخ التي بها زخرفة وتذهيب أو تنقيط، والتي جاءت فيها الفواصل بين الآيات والسور، لا يمكن أن تعود إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، إذ أن "المصحف الإمام" قد اتّسم كما رأينا سابقا، بالبساطة، وبالتجرّد من كل زينة و تنميق، زيادة على خلوّ الكتابة من الإعجام والحركات. ورأينا أيضا أنه مجرّدٌ حتى من عناوين السور، ومن الفواصل بينها، والفواصل بين الآيات. ولهذا جاز لنا أن نستبعد صحّة كلام من قالوا إن المصاحف التي شاهدوها، ووصفوها، وذكروا أنها مزخرفة، أو قالوا على سبيل المثال، إنّ فيها فواصل بين السور، هي إحدى النسخ الأصلية من "المصحف الإمام". وفيما يخصّ نسخة استنبول، ونسخة طاشقند فإن كلاًّ من هذين المصحفين بحجمه الكبير، وثقله المفرط[73]، كان صعب التداول إذ كان من العسير على القارئ أن يحمله، أو أن

---

[72] راجع عن هذا المصحف مقال الشيخ طه الولي، **القرآن الكريم في بلاد الروسيا**، في: المورد (بغداد)، المجلد 9، ع4، 1981، ص 27-42، ومقال شمس الدين بابا خانوف، **نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف لها قصّة**، في: العربي (الكويت)، ع322، 1985، ص38-47.

[73] يضم مصحف طاشقند 353 ورقة من الرّق، ومقاس كل ورقة 53 سم عرضا و28 سم طولا (وهو على شكل مستطيل). ومما يجب التنبيه إليه أن الرّق ولو اقتربت ورقته من ورقة الكاغظ، فإنه أكثر ثقلاً من الكاغظ. فمن الجائز أن يزيد وزن هذا المصحف على 18 كلغ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يضعه على حِجره ليقرأ فيه. فكيف كان بإمكان الخليفة الراشدي الثالث الذي كان قد بلغ الثمانين يوم اغتياله، أن يضع هذا المجلد الضخم في حِجره حسبما ذكرت المصادر، ليقرأ فيه؟ وممّا يزيد من شكّنا في صحّة هذه الادعاءات، وجود هذه النسخ الملطّخة بدم الخليفة أو غير الملطّخة، في عدد من الأماكن المختلفة من العالم الإسلامي.

ويبقى التردّد قائما فيما يتعلّق بالنسخ التي روى مشاهدوها من الرحّالة والمؤرّخين، أنها إحدى المصاحف العثمانية التي كُتبت في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ في المدينة المنوّرة، من دون أن يوردوا وصفها، أو في حالة وصفها، ذكروا أنها فعلا خالية من التنقيط والشكل والفواصل بين الآيات، كما هو الحال بالنسبة للنسخة الموجودة في مسجد الحسين بالقاهرة، فإنّ واصفيها ذكروا أنها خالية من التنقيط فوق الحروف أو تحتها، وخالية أيضا من الشكل، ومن الفواصل بين الآيات[74]، ولم يدّع أحد على ما نعلم، أنها المصحف الذي كان يقرأ فيه الخليفة الراشدي الثالث يوم اغتاله المتمرّدون من الأمصار. فمن المحتمل جدًّا أن يُحفظ كتاب مكتوب على الرّق مدّة قرون، ومن الجائز أن يكون قد رآه عدد من العلماء أو الرحّالة في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي.

وفي ضوء ما تقدّم، نرى أن الذين ادّعوا أنّ المصاحف التي في حوزتهم، أو التي شاهدوها فذكروا أخبارها، وقالوا إنها إحدى النسخ التي كُتبت على

[74] راجع مقال جريدة " الشرق الأوسط"، المذكور سابقا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عهد أمير المؤمنين عثمان ﷺ، لم يقصدوا المغالطة، ولا التلفيق، ولا التزوير، بل إننا متيقنون أن ادّعاء أغلبيتهم، كما ذكرنا سابقا، كان عن حسن نية. وإن المصاحف التي ذكروها، كانت قديمة. وممّا لاشك فيه أن النسّاخ في القرون الأولى للإسلام كانوا قد حاولوا كما ذكرنا منذ حين، تقليد "المصحف الإمام"، لما كان له من مكانة، وقدسية في قلوبهم، وفي قلوب كلّ الأمة. ومع مرّ الزمان، قد تناسى الناس الأصل الحقيقي لتلك المصاحف، فنسبوها كلّها إلى عهد الخليفة الراشدي الثالث تبرّكا، وتيمنا بالمصحف الإمام الذي أنجزه صحابة رسول الله ﷺ.

* *
* * * *

ويجوز لنا ختاما أن نؤكّد أن فضل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ على المسلمين، لم يقتصر على جمع كلمتهم على قراءة موحّدة للقرآن المجيد، بل قدّم لهم الكتاب الذي ستنطلق منه ومنه وحده، حركة علمية وفكرية... وقد لاحظنا فيما سبق إلى أن العرب لم يعرفوا قبل إنجاز"المصحف الإمام" كتابا يعالج أمور دنياهم، ولا أمور آخرتهم أقول ستنطلق منه حركة علمية وفكرية، وأدبية فريدة في التاريخ، ستخطو بالإنسانية خطوات لم تعرفها من قبل، نحو الرقي والتمدّن.

* * *

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القسم الثاني

رحلة نسخة من مصحف عثمان

في المغرب والأندلس

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تـــمهيـــد

إذا كانت الروايات الكثيرة والمتضاربة في موقفها من مصير نسخ المصحف التي أمر بنسخها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ في المدينة المنوّرة، قد ورد ذكرها في كتب المؤرّخين، والأدباء، والرحّالة، فإن مصير إحدى هذه النسخ التي طافت مدة قرون، بين عدد من العواصم في الغرب الإسلامي، بما فيه الأندلس، يكاد يكون مجهولا لدى معظم الأدباء، وجمهور المثقفين سواء منهم المغاربة أو المشارقة.

وقد تنبّهت فيما يخصني، أول مرة إلى وجود هذه النسخة في هذه المنطقة من العالم الإسلامي، عندما كنت أقوم بتحقيق مخطوط محمد بن عبد الله التنسي المسمّى: ***نظم الدر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان***. و نشرت قسما منه تحت عنوان: ***تاريخ بني زيان ملوك تلمسان***[75]. وخصّص المؤلف هذا القسم من الكتاب، لتاريخ دولة بني زيان أو بني عبد الواد كما يسمّون أيضا. وجاء ذكر مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ خلال حديث المؤلف عن موت الخليفة الموحدي السعيد الملقّب بالمعتضد بالله،

---

[75] تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان: مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان، لمحمد بن عبد الله التنسي، حققه وعلق عليه محمود آغا بوعياد. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/1985م. (إصدارات المكتبة الوطنية، النصوص والدراسات التاريخية، 6)، صفحة عنوان ومقدمة باللغة الفرنسية أيضا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

قرب تلمسان عاصمة بني زيان[76]، على يد الجيش الزياني بقيادة مؤسّس الدولة يغمراسن بن زيان[77]. وكان المصحف كما سنرى بالتفصيل فيما يأتي، من جملة الذخائر التي فقدها جيش الخليفة الموحدي في هذه الواقعة.

* * *

[76] راجع عن أخبار مهاجمة الخليفة الموحدي السعيد بن المأمون الملقب بالمعتضد بالله، المصدر سابق الذكر، ص 118-125، وكتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون، ج6، ص 541. وكان مقتل السعيد سنة 646هـ/ 1248م.

[77] دام ملك يغمراسن بن زيان من سنة 633هـ/1236م إلى سنة 681هـ/1283م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف في قرطبة

انفرد محمد التنسي صاحب كتاب ***نظم الدّرّ والعقيان*** سابق الذكر، من بين مؤلفي المصادر الكثيرة التي تمكّنتُ من الرجوع إليها حول الموضوع، بذكر سبب وجود هذه النسخة من المصحف الإمام ببلاد الغرب الإسلامي. فذكر أوّلا أن هذا المصحف هو الذي خطّه الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بيده[78]، وهو الذي تساقط عليه الدم عند قتله[79]، ثم أصبح في حوزة خلفاء بني أمية في دمشق. ولم يذكر التنسي كما لم يذكر غيره من المؤرّخين الذين قالوا إنهم رأوا في الشام هذا المصحف الملطّخ بالدم، كيفية وصول هذه النسخة إلى الديار الشامية. والذي أجمع عليه المؤرّخون كما مرّ ذكره، هو أن الخليفة عثمان ﷺ قد أرسل إلى الشام إحدى النسخ التي أمر بكتابتها بعد أن تمّ عمل اللجنة الرباعية التي كلّفها بجمع القرآن. وهكذا يبدو واضحا أن الأمر اختلط على أولئك المؤرّخين، فلم يميّزوا بين النسخة التي تركها الخليفة في المدينة، وبين النسخة التي أرسلها إلى بلاد الشام. ولو افترضنا أنه لم يقع لهم لبس بين النسختين، لاحظنا أنه لم يذكر أحد منهم، كيف وصلت النسخة المدنية إلى حوزة خلفاء بني أمية في دمشق. وممّا يجدر ذكره، أن أحد المؤرّخين كما أشرنا إلى ذلك سابقا، قال أن النسخة المدنية قد ضاعت[80].

---

[78] راجع أعلاه في القسم الأول من هذه الدراسة كلامنا عن تفنيد قيام الخليفة الراشدي الثالث بنسخ المصاحف أو إحداها بخط يده.

[79] راجع تعاليقنا على هذا الكلام في القسم الأول من هذه الدراسة.

[80] راجع المسند، ص 458.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويمضي محمد التنسي في كلامه ويقول: إنه لما سقطت دولة بني أمية، واستولى بنو العباس على الخلافة مكانهم، تمكّن عبد الرحمن أحد أمراء بني أمية المشهور باسم عبد الرحمن الداخل، كما هو معروف في التاريخ، من تأسيس إمارة أموية في الأندلس، وكانت قرطبة عاصمة لها. ولما استقرّ عبد الرحمن في الغرب الإسلامي، كانت شقيقته أم الأصبغ تبعث إليه من الشام شيئا إثر شيء، بذخائر الأسرة الحاكمة سابقا في دمشق، فكان من جملة ما بعثت به ***المصحف العثماني***. فأوقفه عبد الرحمن على جامع قرطبة[81]. هذا ما ذكره محمد التنسي عن كيفية وصول نسخة المصحف العثماني إلى الأندلس.

وقبل أن نواصل الحديث عن مطاف هذه النسخة، نرى لزاما علينا أن نتوقّف قليلا، لنتساءل عن مدى صحة انتسابها إلى النسخ التي كُتبت بالمدينة المنوّرة، في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، حسبما اعتقد معظم من أورد خبر وجودها في الغرب الإسلامي. وقد أبدينا رأينا في القسم الأول من هذه الدراسة، في صحّة انتساب النسخ التي ادّعى مالكوها أو مشاهدوها، أنها من النسخ الأربع الأصلية التي يرجع عهدها إلى خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وذكرنا أيضا الطريقة التي يتمكّن بواسطتها الأخصائيون، من نفي صحّة هذا الانتساب، إذا ما تحصلوا على وصف المخطوط. أما في حالة غياب الوصف، فإن القطع بصحّة الانتساب يصبح من باب المستحيل كما رأينا سابقا، ويدخل الفصل في صحة النسخة المغربية، أو عدم صحتها، من هذا القبيل، إذ لا نملك

---

[81] تاريخ بني زيان، ص 123.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أي دليل على قبول هذه الصحة أو رفضها، وذلك لأن جميع المصادر التي تحدّثت عن هذه النسخة التي كانت من حظ الغرب الإسلامي، خلت خلوا تاما من أي وصف مادي لها. فلم تذكر لنا شيئا عن نوع خطّها، أو عن الورق الذي كُتبت عليه وهكذا، ممّا كان يسهل علينا الفصل في الموضوع. وأمام خلوّ المصادر من الدلائل، لا يتبقى لنا إلاّ أن نستسلم للأمر الواقع، فنتبع رأي المعاصرين للأحداث الذين أجمعوا ضمنيا على رجوع نسخة قرطبة إلى النسخ الأصلية. وهكذا مهما يكن من صحّة انتساب النسخة المغربية إلى عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أو عدم صحته، فإن ما يهمّنا في الأمر، أن أهل الغرب الإسلامي من أمراء، وعلماء، وعامة، قد اعتبروها إحدى النسخ التي كتبها صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، بأمرمن الخليفة الراشدي الثالث ﷺ، ولم يُبْدِ أحدٌ شَكًّا، ومن ثمّ لم يفكر أحد في نفي صحتها. فحتى عبد الرحمن بن خلدون ذو الفكر النقاد، لم ينفِ صراحة هذه الصحة، واكتفى بقوله: "مصحف عثمان بن عفان ﷺ، يزعمون أنه أحد المصاحف التي انتسخت لعهد خلافته، وأنه كان في خزائن قرطبة ..."[82].

وقد ورد ذكر وجود نسخة المصحف الإمام في جامع قرطبة عند غير التنسي من المؤرّخين والرحّالة. فهذا الشريف الإدريسي مثلا يذكر في وصفه الدقيق لهذا الجامع، المستخرج من كتابه المشهور ***نزهة المشتاق في اختراق***

[82] العبر، ج7، ص 170.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الآفاق[83]، أنه كانت توجد في الجامع عن شمال المحراب مقصورة حفظت فيها شمعدانات وأوانٍ من فضة وذهب، لإنارة المسجد، كما اذخر فيها مصحف شديد الثقل كان يحتاج من شدة ثقله إلى رجلين لحمله. وما يلفت الانتباه هو أن الشريف الإدريسي انفرد بذكر وجود أربع أوراق فقط من المصحف العثماني ضمن هذا المصحف، إذ أن المصادر الأخرى تحدّثت كلّها، عن وجود المصحف العثماني في مسجد قرطبة من دون تحديد لعدد الأوراق التي يعود عهدها إلى خلافة عثمان ﷺ. وممن ذكر وجود نسخة المصحف الإمام في قرطبة، عبد الرحمن بن خلدون كما أشرنا إلى ذلك منذ حين[84].

وذكر محمد التنسي وغيره أن المصحف الإمام كان يخرج من مقصورة الجامع في كلّ يوم بعد صلاة الصبح، ليُقرأ فيه[85]. أما الشريف الإدريسي فقال إنه كان يخرج من الحجرة التي كان محفوظا فيها، في صبيحة كل يوم جمعة فقط. ثم أضاف تفاصيل شيقة عن كيفية إخراجه من المقصورة، وكان ذلك في موكب صغير، ليقوم الإمام بالقراءة فيه. قال متحدّثا عن المصحف: "ويتولى إخراجه رجلان من قومة[86] المسجد، وأمامهم رجل ثالث بشمعة" ثم أضاف قائلا: "وله بموضع المصلّى كرسي يوضع عليه، ويتولى الإمام قراءة نصف حزب منه ثم يُردّ إلى موضعه"[87]. ووصف مؤلف ***نزهة المشتاق*** هذا المصحف الذي

---

[83] نشـــر نصّ وصف المسجد الجامع بقرطبة للإدريسي مع ترجمة باللغة الفرنسية لأرفريد ديسوس لامار، ضمن "المكتبة العربية الفرنسية" التي كانت تصدر بالجزائر في العهد الاستعماري -الجزائر، 1949. انظر قائمة المراجع العربية والأجنبية في الأخير.

[84] **العبر**، ج7، ص 170.

[85] **تاريخ بني زيان**، ص 123.

[86] جمع قائم: هنا خدم المسجد.

[87] الإدريسي، المصدر السابق، ص8 و10.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كان موضع هذه العناية الفائقة والتعظيم الفريد، من قبل أمراء قرطبة من بني أمية، ومن قبل سكان الأندلس جميعهم، فقال: "وللمصحف غشاء بديع الصنعة، منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه"[88].

ويثبت كلام محمد التنسي والشريف الإدريسي هذا التقدير الذي كان يحظى به المصحف في جامع قرطبة، ما رواه محمد بن مرزوق عن عيسى الرازي[89] في تاريخه. فممّا قال: " احتمل المصحف الدعو بالإمام، المختزن كان بمقصورة هذا الجامع، المرتب لقراءة إمام الفريضة فيه كل يوم عند فراغه من صلاة الصبح، وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ممّا خطّه بيمينه، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم، واحتفاء شديد"[90].

وأورد أحمد المقري وصفا للمظهر الخارجي للمصحف المخطوط في جامع قرطبة، أدقّ من وصف الشريف الإدريسي المذكور سابقا، فقال: "وعليه حلية ذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وعليه أغشية الديباج، وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب"[91].

* * *

---

[88] المصدر السابق، ص10.

[89] تذكر الآنسة ماريا خيسوس بيغيرا محققة نص كتاب **المسند** لابن مرزوق ومترجمته إلى اللغة الإسبانية أن عيسى بن أحمد الرازي هو مولف كتاب **التعريج** (انظر في الكتاب المترجم ص517 و537). ومن المعروف أن هناك ثلاثة مورخين يحملون اسم الرازي في الأندلس، وهم محمد بن موسى، وابنه أحمد، وحفيده عيسى، وعاشوا في القرنين 3 و4 للهجرة. (راجع **دائرة المعارف الإسلامية**، الطبعة الفرنسية القديمة، ج3، ص 1215-1216).

[90] **المسند**، ص 456. كذا في النص المنشور.

[91] **نفح الطيب**، ج1، ص 548.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف في مراكش

وما زال هذا المصحف في جامع قرطبة موضع رعاية وتقدير، كما لاحظنا من خلال مختلف المصادر، وذلك مدة الدولة الأموية، ودول ملوك الطوائف، ودولة المرابطين إلى أن جاء عهد دولة الموحدين الذين اقتفوا آثار سابقيهم من الملوك المرابطين، في الانتقال إلى عدوة الأندلس، لمؤازرة سكانها من المسلمين الذين كانوا يعانون الأمرّين من جرّاء الحملات الصليبية التي كان يشارك فيها إلى جنب جيوش الدول الإسبانية المسيحية الحاكمة في شمال جزيرة الأندلس، عدد من أهالي البلدان المسيحية في أوربا الغربية. وقد ضمّ الموحدون الأندلس إلى ممتلكاتهم في الشمال الإفريقي على غرار ما قام به الملوك المرابطون قبلهم.

وحتى يضيف عبد المؤمن بن علي الكومي المؤسّس الحقيقي للدولة الموحدية ومنظّمها، جلالا على جلال، وأُبّهة على أُبّهة للإمبراطورية الجديدة القوية التي أسّسها في الغرب الإسلامي، والتي كانت تتضمّن لأول مرة في التاريخ، أقطار المغرب الثلاثة والأندلس، موحّدة تحت حكم واحد، رغب في الاستيلاء على نسخة المصحف الإمام المحفوظ في جامع قرطبة، لِما كانت تحظى به من تقدير وتبجيل، لدى كلّ أفراد الأمة، خاصتها وعامتها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولم تذكر لنا أكثر المصادر كيف وقع انتزاع نسخة المصحف الإمام من مقصورة جامع قرطبة، ونقلها إلى مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية. وإن أكثر هذه المصادر تكتفي بالقول إن المصحف نقل إلى مراكش، وأصبح في حوزة الخلفاء الموحدين أو ما يماثل هذه العبارات، من دون إعطاء أي تفصيل عن ظروف حمل أهل قرطبة على التخلّي عن هذه الذخيرة الثمينة التي كانوا يعتزّون بامتلاكها. فعلى سبيل المثال يروي محمد بن مرزوق أن أبا القاسم بن بشكوال[92] قال عن الحادث: "أخرج هذا المصحف عن قرطبة، وغرّب عنها"[93].

وإذا اقتصرت المصادر القديمة كما ذكرنا، على ذكر خبر نقل المصحف من قرطبة إلى مراكش، فإن أحمد المقري أورد نصّا لأبي بكر بن طفيل[94]، حاول فيه الفيلسوف تبرير انتزاع هذه الذخيرة من جامع قرطبة الذي كان يحتفظ بها من دون انقطاع منذ خمسة قرون، لتُنقل إلى قصر الخلفاء الموحدين في مراكش، فقال: "إن ذكر المصحف قد جرى في خاطره الكريم -ويعني عبد المؤمن بن علي- إلاّ أنه بدافع من سجاياه الحسنة الرضية،[...] توقّع أن يتأذّى أهل ذلك القطر بفراقه، إذا اجتلبه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم".

ثم زاد قائلا: "فتوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته وإشفاقه".

---

[92] أبو القاسم بن بشكوال مولف "**كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**" والمتوفى سنة 578هـ /1183م.

[93] المسند، ص 456.

[94] أبو بكر بن طفيل الفيلسوف المتوفى سنة 581 هـ/1185 م. وكان مقربا من الخليفة الموحّدي أبي يعقوب المنصور، وقيل أنه تولى الوزارة في عهده لمدة من الزمان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويواصل مؤلف ***حي بن يقظان*** كلامه، ويذكر من دون أي تردّد أو خجل أن هذا الأثر النفيس الذي أبى أمير المؤمنين أن ينتزعه من ممتلكيه ومستحقيه، حسب قول الفيلسوف الوزير، قد تخلّى عنه أصحابه طوعا، فتبرعوا به عن طيب خاطر إلى الأمير الموحدي. وعلّق ابن طفيل على هذا الإهداء الطوعي حسبما زعم، فقال غير حائر أو مرتبك مرّة أخرى: "فأوصله الله إليه تحفة سنية، وهدية هنية، وتحية من عنده مباركة زكية، دون أن يكدّرها من البشر اكتساب، أو يتقدّمها استدعاء أو اجتلاب، بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بإرساله إلى مستحقيه ..."[95].

تكريم الموحّدين للمصحف

ومهما تكن طريقة نقل نسخة المصحف الإمام من قرطبة إلى مراكش[96]، ومهما يكن شعورنا ووجهة نظرنا حيال موقف الفيلسوف الوزير الذي حاول تبـــرير تصرف الخليفة وتبرئته من الضغوط على مالكي المصحف في جامع قرطبة، فإن الأمراء الموحدّين قد خصّوا بدورهم هذا الأثر المقدّس برعاية نادرة، وعناية فائقة.

---

[95] **نفح الطيب**، ج1 ص 607-608.

[96] نودّ أن ننبّه إلى أن عبد الرحمن بن خلدون ذكر أن المرابطين هم الذين أخرجوا المصحف من قرطبة فقال: "إنه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل، حتى صار في ذخائر لمتونة فيما صار إليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس، ثم إلى ذخائر الموحدين من ذخائر لمتونة " **العبر**، ج 7، ص 170، غير أنّنا نرى أن كلام ابن طفيل الذي كان من المقرّبين لبلاط الخلفاء الموحّدين، أقرب إلى الحقيقة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وبالرغم من كون المصحف الإمام قد زُيّن في قرطبة بفاخر النفائس من الذهب، والدر، والياقوت، كما سبق أن ذكرنا، فإن عبد المؤمن بن علي وخلفاءه من بعده، قد جدّدوا زينته، وزادوا في تحليته ذهبا، وفضّة، ولؤلؤا، واستدعوا للقيام بهذا العمل الفني، أشهر الفنانين وأحذقهم، من أطراف إمبراطوريتهم الشاسعة، وفي هذا يقول أحمد المقرّي: "فحشروا له الصنّاع المتفنّنين، والمهرة المتفنّنين، ممن كان بحضرتهم العليّة، أو سائر بلادهم القريبة والقصيّة، فاجتمع لذلك حذاق كلّ صناعة، ومهرة كل طائفة من المهندسين، والصواغين، والنظامين، والمرصعين، والنجارين، والزواقين، والرسامين، والمجلدين، وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة، أو ينسب إلى الحذق في صناعة، إلا حضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه..."[97].

وقد استعمل الأمراء الموحدون لصيانة المصحف، غلافين، الأول فاخر من الذهب، والفضة، واللؤلؤ، سمّاه أحمد المقرّي "الصوان الأكبر"، والثاني أقل تأنّقا، حليته خفيفة من السندس الأخضر، قال المقرّي أنه "صوان لطيف"، فكان يُكسى بأحد الغلافين حسب المناسبة. وكانوا يظهرونه حسبما قال مؤلف "نفح الطيب"، تارة "متبذلا"، وتارة "متجمّلا"[98].

ولم يكتف الخلفاء الموحدون بهذه الكسوة، بل جعلوا لنسخة مصحف الإمام، محملا خاصا مصنوعا من الخشب الرفيع والابنوس "مغشى كلّه بضروب

---

[97] نفح الطيب، ج 1، ص 611.

[98] المصدر نفسه، ج 1، ص 613.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

من الترصيع، وفنون من النقش البديع"[99]، كما "صُنع لذلك الوعاء كرسي يحمله عند الانتقال"[99] رُصّع هو كذلك. وجعلوا الكرسي، والمحمل، والمصحف في صندوق خاص سماه أحمد المقرّي "تابوتا"، وكان هذا الصندوق مكعّب الشكل عاليا، وكان أيضا موضع عناية خاصة من تجميل وتزيين، وقد مكّنت تقنية خاصة أطال مؤلف ***نفح الطيب*** في وصفها، من فتح هذا الصندوق تلقائيا عند الحاجة، وإخراج المصحف من غلافه المزركش[100].

وكان الأمراء الموحّدون يُخرجون المصحف ليقرأوا فيه. وخاصة في ليالي رمضان. ويستنتج من الرجوع إلى المصادر المختلفة أن المصحف لم يكن محفوظا في مسجد من مساجد مراكش، بل كان موجودا حسبما يظهر، في قصر الخليفة. وقد خالف الموحّدون في ذلك من سبقهم من ممتلكي المصحف من بني أمية، وملوك الطوائف في الأندلس. وشيء ثانٍ اختصّ به الموحّدون، هو إخراج الخلفاء للمصحف كلما غادروا عاصمة ملكهم، قاصدين طرفا من أطراف إمبراطوريتهم بنيّة الحرب أو السلم. فكانوا يحملونه في كل أسفارهم وحركاتهم تبرّكا به. وسنرى في محلّه أن مالكي المصحف بعد الموحّدين سيتبعون السيرة نفسها.

وقد وصف عبد الواحد المراكشي مؤرّخ الدولة الموحدية، الأُبّهة والمراسم التي كانوا يحيطون بها المصحف في هذه التنقلات. فقال إن هذا الأثر

---

[99] المصدر نفسه، ج 1، ص 613.

[100] المصدر نفسه، ج 1، ص 614.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المقدّس كان دوما في مقدّمة موكب الخليفة، محمولا في الصندوق مكعّب الشكل والمزخرف أو التابوت كما سماه مؤلف "نفح الطيب"، حيث كان يوضع الكرسي، والمحمل، والمصحف، كما ذكرنا سابقا. وقد خُصّصت ناقة حمراء لنقل الصندوق إكراما للمصحف، ومن المعروف أن النوق الحمراء تعتبر من النوادر في الطبيعة. وكانت هذه الناقة تُزيّن بالحَلي النفيس وثياب من الديباج الفاخرة[101]. وكانوا يضعون عليها الصندوق، فوق بردعة من الديباج الأخضر، وكان هناك رُمحان، واحد عن اليمين والثاني عن اليسار، يعانقان الصندوق، وهما مربوطان بلواءين ثُبّتتْ في أعلاهما، بدَل الأسنة، كُرتان من الذهب في حجم التفاحة. وكان يتبع الناقة بغل زيّنوه بالحلي أيضا، يحمل مصحفا آخر كتبه بخط يده المهدي بن تومرت واضع أسس الدولة الموحدية. ويقول عبد الواحد المراكشي أنه "دوّن مصحف عثمان في الجرم"[101]، ونجد هنا إشارة جديدة إلى الحجم الكبيرللمصحف الإمام.

أما وصف محمد التنسي لموكب الخلفاء الموحّدين، فإنه يخالف وصف عبد الواحد المراكشي ببعض التفاصيل. فبعدما تحدّث عن استصحابهم للمصحف في تنقلاتهم قال: "وذلك أنهم في سفرهم أوّل ما يتقدّم بين يدي الأمير، راية عظيمة بيضاء على طول ما يكون من العصي، ويتلوها المصحف الكريم محمولا على أضخم بختي[102]، يوجد مجعولا في قبة حرير مربعة، بأعلاها

---

[101] راجع **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص 253.

[102] في **القاموس**: بختي بالباء المضمومة "الإبل الخراسانية" **وفي لسان العرب**: "هي الجمال طوال الأعناق".

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

جامور[103]، أبدع ما يكون، في رأس ركن من أركان القبة، راية عظيمة تخفق بأقل ريح، ولو لم يكن إلا حركة الجمل في سيره، ويتلوها بغل من أفره البـــغال، يحمل ربعة كبيرة مربعة مغشاة بحرير، ضمنت ***الموطأ والبخاري ومسلما والترمذي والنسائي، وأبا داود***، ويليهما الأمـــير في صدر الجيش والعســـاكر "[104].

* * *

[103] جامور النخل وجمراته: شحمته التي في قمة رأسه تقطع قمته ثم تكشط عن جمارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة. عن لسان العرب.

[104] تاريخ بني زيان، ص 124.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف في تلمسان

واستمر الأمراء الموحّدون هكذا، يُخرجون نسخة المصحف الإمام من مكان حفظها بين الحين والآخر، إما للقراءة فيها، أو ليتبرّكوا بها في ترحالهم مدة حياة الدولة، إلى أن قرب أفول نجمها، وشرع الطامعون في افتكاك أجزاء من الإمبراطورية الموحدية الشاسعة، للاستيلاء عليها بقصد تأسيس دول مستقلة فيها[105].

ولما استقل بنو حفص بالحكم في تونس، واستقل يغمراسن بن زيان في تلمسان، نهض الخليفة الموحّدي السعيد بن المأمون كما سبق أن ذكرنا، بجيش كبير ليرد الأمير الزياني يغمراسن بن زيان مؤسّس الدولة الزيانية، إلى الطاعة[106]. وقد استصحب معه كعادة أسلافه من الخلفاء، نسخة المصحف العثماني المُحلىّ بأنفس التحلية، إلا أن الأمير الموحّدي قُتل في أثناء قيامه بمحاصرة يغمراسن في حصن جنوب مدينة وجدة[107]، فاندحر الجيش الموحدي، واستولى الجيش الزياني على معسكر الخليفة، كما استولى على فسطاط الأمير نفسه، وكان المصحف العثماني من جملة الذخائر الموجودة في

---

[105] ستنتهي عملية التفكك هذه بتأسيس ثلاث دول في الشمال الإفريقي على أنقاض الدولة الموحدية. وهذه الدول الثلاث هي: الدولة الحفصية في تونس بإفريقية، والدولة الزيانية (أو العبدوادية) في تلمسان بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية في فاس بالمغرب الأقصى.

[106] راجع أعلاه الهامش رقم (2) من هذا القسم.

[107] كانت مدينة وجدة الموجودة حاليا في المغرب الأقصى على الحدود مع الجزائر، على بعد 80 كلم غرب تلمسان، تابعة دائما يومذاك لمملكة بني زيان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المعسكر، ولعلّه كان في خيمة الخليفة، أو في خيمة مجاورة لها، إلا أن الأمير الزياني لم يكن هو الظافر بالمصحف، وإنما انتهبه مجهولون[108].

واختفى المصحف، وقال محمد بن مرزوق أن النهّابين لنسخة المصحف الإمام كانوا من الأعراب، وأنهم لم يعلموا لهذا الأثر النفيس "قدرا ولاقيمة"[109]، فأخذوا ما عليه "من الحلية الموجبة لغنى الدهر"[110]، ثم طرحوه. وبعد مدّة من الزمان اختفى فيها، ظهر المصحف من جديد، إذ وجده أحد المارة مجرّدا من كسوته الفاخرة، ودخل به في يوم من الأيام إلى مدينة تلمسان ليبيعه. وبينما كان الدلاّل يجوب به سوق الكتب في العاصمة الزيانية، شاهد المصحف أحد الحاضرين لعملية البيع في السوق. وكان على علم بوجوده وعلى اطلاع بقيمته وأوصافه، فرأى من المفيد أن يبلغ على الفور، خبر اكتشافه للأمير الزياني، عله يهتم بالأثر الكريم، فيبذل ما بإمكانه لإنقاذه. فأسرع إلى القصر، وأبلغ الأمير الخبر. ولم يخب ظن الزائر مبلغ الخبر، إذ اهتم يغمراسن بالأمر اهتماما كبيرا، وأعطى في الحين الأوامر اللازمة لإنقاذ نسخة المصحف الإمام. وقد تمكّن رسل السلطان يغمراسن من الوصول إلى السوق قبل أن يباع المصحف، فاقتنوه للأمير الزياني.

سُرّ يغمراسن بن زيان بحصوله على هذه النسخة النفيسة من المصحف الذي كتبه منذ قرون، صحابة رسول الله ﷺ. وكان قبل أن يصل إليه كما

---

[108] راجع التفاصيل في تاريخ بني زيان، ص 118-125.

[109] المستد، ص 460.

[110] تاريخ بني زيان، ص 124.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ذكرنا سابقا، مُلكا لأمراء بني أمية في دمشق، ثم في قرطبة، ومُلكا للأمراء الموحّدين ابتداءًا من مؤسّس الدولة عبد المؤمن بن علي. "فأمر بصونه، والاحتياط عليه، والقيام بحقه"[111]، إلا أن محمد بن مرزوق يقول إن بعض الأوراق قد ضاعت في هذه المحنة التي تعرّضت لها النسخة، إثر الهزيمة التي بُلِيَ بها جيش الخليفة الموحدي أمام الجيش الزياني[112]. ولم تذكر لنا المصادر أين كان المصحف محفوظا في تلمسان. فلا ندري ما إذا كان بنو زيان قد أودعوه مسجداً من مساجد المدينة، على غرار بني أمية في قرطبة، أم إنهم حذوا حذو الخلفاء الموحّدين فاحتفظوا به في قصر "المشور" مقر حكمهم، وسكناهم.

وهكذا أصبحت النسخة المغربية للمصحف الإمام في حوزة بني عبد الواد ملوك تلمسان. وممّا علق به محمد التنسي على اقتناء بني زيان لهذه الذخيرة، قوله: "فكان المرتضى متولي مراكش بعد السعيد، والمستنصر صاحب تونس، وابن الأحمر صاحب الأندلس، يطيلون البحث عنه، ويُكثرون الحرص في تحصيله، حتى ماتوا كلّهم متأسفين عليه"[113].

وتوارث ملوك بني عبد الواد نسخة المصحف الإمام، ولم يُرو عنه أيّ خبر بعد كلّ التفاصيل التي أوردها المؤرخّون فيما يتعلّق بطريقة وصوله إلى قصر بني زيان في تلمسان. فكأن ستارا سميكا من الصمت، أسدل على المصحف من يوم وصوله إلى تلمسان، إلى أن انتزع من أيدي ملوك تلمسان

---

[111] المصدر نفسه.

[112] المسند، ص 460.

[113] تاريخ بني زيان، ص 125.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كما سنرى. فحتى المؤرخّون الذين تحدّثوا بإسهاب عن تاريخ بني زيان كيحيى ابن خلدون في ***بغية الرواد في ذكر الملوك لبني عبد الواد*** والمؤلف المجهول لـــ ***زهر البستان في دولة بني زيان***، لم يشيروا أبدا إلى هذا الأثر الذي تدلّ كلّ الدلائل على أنه سقط فعلا في أيدي بني زيان، وبقي مدة طويلة في تلمسان. وحتى التنسي الذي أطال الكلام، كما رأينا، عن ظروف حصول بني عبد الواد على هذه التحفة، فإنه اكتفى بأن قال: إن ملوك بني زيان كانوا يتوارثونه[114]. ونستغرب عدم ورود ذكره عند وصف المؤرّخين والأدباء، للحفلات الرائعة التي كان ملوك بني عبد الواد ينظمونها في قصر "المشور" بتلمسان كل سنة للاحتفاء بالمولد النبوي الشريف، فوصف على سبيل المثال كلٌّ من يحيى بن خلدون ومحمد التنسي ثم أحمد المقرّي، بعدهما، الحفلات الرائعة التي كان يقيمها أبو حمُّو موسى الثاني وكان ملكا من أبرز ملوكهم. فكان يدعو إليها أعيان المملكة، وكان يعرض بهذه المناسبة التحف النادرة والفنية التي كان يملكها[115]، وأننا نستغرب عدم إخراجه للمصحف بهذه المناسبة، في هذا الحفل الذي اتفق المؤرّخون على وصفه بالرائع.

---

[114] المصدر نفسه.

[115] راجع عن وصف هذه الحفلات، المصدر السابق ص 162-164 وبغية الرواد، ج2، ص 40-49.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف في فاس

وقبل أن نواصل حديثنا عن مطاف نسخة الإمام في أرجاء الغرب الإسلامي، ينبغي التذكير بأن الدول الثلاث الحفصية، والزيانية، والمرينية التي ظهرت على أنقاض الإمبراطورية الموحدية، طمحت كلّ واحدة منها، إلى أن تحقق لصالحها، وحدة الشمال الإفريقي من جديد. فترتب على هذه السياسة، سلسلة من الاصطدامات والحروب، طوال حياة هذه الدول الثلاث. و لم يكتب النجاح ببلوغ الهدف المرجو ولو كان ذلك لفترة قصيرة جدّا، إلاّ لأمير واحد، هو السلطان أبو الحسن المريني الذي عاد من جديد ذكر المصحف الإمام في عهده. وكان ذلك بمناسبة استيلائه على تلمسان بعد حصار دام سنتين[116]. وهكذا يعود فجأة ذكر النسخة المغربية لمصحف عثمان ﷺ. فقد كانت من جملة الذخائر التي غنمها بنو مرين حين افتحموا عاصمة بني زيان، وكان ذلك سنة 737هـ/1337م. ومن قصر "المشور" في تلمسان، إذ نظن أنها كانت محفوظة في قصر الملوك، نقلها أبو الحسن إلى فاس، عاصمة ملكه، لتصبح من ضمن الذخائر المحفوظة في قصره، وعلّق العاهل المريني على الاستيلاء على هذه التحفة الثمينة والفريدة، فقال: "لو لم يحصل لنا من فتح هذه المدينة إلا حصول هذا المصحف الكريم تحت أيدينا ..."[117].

---

[116] دام حصار أبي الحسن المريني لتلمسان من سنة 735هـ/1335م إلى سنة 737هـ/1337م.

[117] المسند، ص 461. وننبّه إلى أن الجملة وردت مبتورة هكذا في النص المنشور.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وخصّ المصحف الإمام عند الملوك من بني مرين بعناية مماثلة للتي عرفها في قرطبة مع الأمويين، وفي مراكش مع الموحّدين، وبالتأكيد في تلمسان عند بني زيان، فكان الملوك في المغرب يستصحبونه في تنقلاتهم بهدف الحرب أو السلم، على غرار ما كان يفعل الموحّدون قبلهم. وجاء في ***المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن*** لمحمد بن مرزوق التلمساني، وصف لموكب هذا السلطان في ترحاله، فقال إن الطبول كانت تُقرع عندما كان يركب أبو الحسن، وكان يتقدّم "بين يديه علَمه المنصور، والمصحف الكريم العثماني، وما معه من المساند..."[118]. وقد رأينا سابقا أسماء الصحاح التي كانت تأتي بعد المصحف في المواكب الموحدية.

* * *

[118] المصدر السابق، ص 456.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصحف في حوزة نصارى البرتغال

واستمرت العناية بالمصحف الإمام، واستمرت مراسيم تكريمه وتبجيله، إلى أن فقده أبو الحسن في واقعة طريف في جنوب شبه الجزيرة الأندلسية، سنة 741هـ/1341م. وقد مُني الجيش المريني فيها بشرّ هزيمة، أمام جيش الفونس الحادي عشر ملك قشتالة، المدعوم بجيش من البرتغال. وقد استشهد في هذه الواقعة عدد كبير من المقاتلين المسلمين، ووقع عدد منهم في الأسر، واستولى العدوّ على أفراد من حرم السلطان، وعلى الذخائر التي استصحبها معه[119]، ونهب جيش النصارى خزائن السلطان وذخائره، وكانت نسخة المصحف من بين الغنائم التي ظفر بها العدوّ، وكانت من حظ الجيش البرتغالي.

انغمَّ أبو الحسن من جرّاء هذه الهزيمة، وتحسّر على ما فقده من أهل، ومن مجاهدين، ومن ذخائر في هذه الموقعة، وخاصة نسخة المصحف العثماني التي كان يعتزّ بامتلاكها، ويحيطها بعناية كبيرة، تبرّكا بها. ومما زاد في حزنه وحسرته، أنه كان يجهل بعد أن انفضت المعركة، وافترق الجمعان، مآل نسخة المصحف الإمام ومكان وجودها. فكلّف من يستقصي أخبارها، ليعرف إن هي ضاعت نهائيا في أثناء المعركة أو بعدها، أو يعرف، إن هي نجت، من يمتلكها، فيتمكّن من معرفة المكان الذي هي محفوظة فيه، واسم مالكها الجديد. وعلّق

[119] راجع عن واقعة طريف العبر، ج 7، ص 544-546.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

محمد بن مرزوق على سعيه وراء المصحف فقال: "ثم لم يزل يجتهد في البحث عنه، إلى أن وصل الخبر باستقراره ببلاد البرتقالي"[120].

ولما علم بمكان وجود المصحف، بحث عن وسيلة لاستخلاصه من أيدي النصارى، مهما يكلّفه ذلك من مال. وبعد البحث الطويل تمكّن من إيفاد أحد التجار من مملكته إلى البرتغال، فاسترجع التحفة الثمينة بمبلغ باهظ من المال، لم يذكر المؤرّخون قدره. وما زاد محمد بن مرزوق على أن قال: "وكان افتكاكه بآلاف من الذهب"[121].

ووقع استرجاعه سنة 745هـ/1345م أي بعد أربع سنوات من ضياعه. ووصل المصحف إلى السلطان، وهو في عاصمته فاس، فابتهج به ابتهاجا كبيرا، وهنّأه خواصه وأفراد حاشيته بنيل بغيته. ولم يلحق ضرر كبير بنسخة المصحف إلا ما كان من كسوته التي انتزعها منه ناهبوه من النصارى البرتغاليين، مع ما كانت تحمل دفتاه من ذهب، وفضّة، ولؤلؤ.

* * *

[120] المسند، ص 461.

[121] المصدر نفسه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خـــاتمـــة المـــطـــاف

وعادت المياه إلى مجاريها، غير أنها لم تستمر مدّة طويلة، إذ بعد سنتين فقط من افتكاك نسخة المصحف الإمام من أيدي النصارى، استصحبها السلطان أبو الحسن في حركته المشهورة عبر الشمال الإفريقي، كعادته وعادة أجداده من استصحابها في الحروب والمواكب، وذلك سنة 747هـ/1347م. وفجأة انسدل حجاب على أخبار المصحف العثماني، فلا نعرف كيف ضاعت النسخة ولا متى ولا أين. إن المصادر التاريخية القديمة المتعدّدة التي استقينا منها المعلومات، والروايات المفصّلة عمّا تعرضت له من أحداث وتقلبات في هذا الشطر الغربي من العالم الإسلامي، لم تذكر كلّها خبرا عن مصيرها، ولم يرو أكثرها قليلا أو كثيرا عن نهاية هذا المطاف العجيب الذي انفرد به هذا الكتاب عبر التاريخ. ونستثني ما ذكره المؤرّخ المعاصر أحمد السلاوي مؤلف. "الاستقصا..." كما سنرى.

وهكذا لم يبق للمؤرّخ إلا أن يقدّم افتراضات، وفي الحقيقة ليس لديه إلا أن يتوقع احتمالين اثنين فقط:

حسب احتمالنا **الأول**، فإن آثار النسخة المغربية من المصحف الإمام قد اختفت قرب مدينة القيروان في إفريقية أي تونس الحالية حيث وصل السلطان أبو الحسن بجيوشه المظفّرة، في حركته الطويلة عبر بلاد المغرب، وبها كبّده

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

حلف مكوّن من أعراب بني سليم، ومن بني عبد الواد الذين كان قد أزاحهم السلطان المريني عن ملكهم في المغرب الأوسط، هزيمة وصفها المؤرّخون بالشنعاء[122]. وكان ذلك سنة 749هـ/1349م. وتمكّن الأعراب من اقتحام معسكر السلطان، ومن نهب فسطاطه، فاستولوا على حرمه، وعلى الأموال والذخائر التي حملها معه في حركته. وهنا يجوز لنا أن نلقي على أنفسنا سؤالنا الأول عن ظروف فقدان المصحف، هل ضاع هذا الأثر النفيس في هول هذه النكبة التي كانت إيذانا بزوال ملك أبي الحسن المريني؟ فإن الهزيمة كانت نقطة الانطلاق لسلسلة من الثورات والأحداث التي اندلعت في شتى أنحاء المملكة، وكانت أخطرها ثورة أبي عنان ابن السلطان الذي أعلن خلع أبيه، واستبدّ بالملك لنفسه. ويجوز لنا أن نفترض أن نسخة المصحف الإمام ضاعت مع ما ضاع من مال، وتحف، وذخائر، من معسكر السلطان إثر هذه الواقعة. وكما أن الجنود من جيش يغمراسن بن زيان لم يعرفوا من قبل قيمة النسخة الأثرية عندما نهبوا معسكر الخليفة الموحدي السعيد كما تقدّم، كذلك من الجائز أن نفترض أنها نهبت ضمن ما نهب في معسكر أبي الحسن، ولم يهتم الأعراب المنتصرون إلا بما وشيت به من ذهب وفضّة ولؤلؤ. وأهملوا الكتاب، غير أن الله لم يسخّر هذه المرة مارّا ليلتقط النسخة العارية من تحليتها، ويعرضها على الناس ليبيعها، كما وقع ذلك إثر هزيمة السعيد الموحدي، حيث أن النسخة اختفت ثم ظهرت من جديد كما رأينا.

[122] راجع عن هذه النكبة على الخصوص **بغية الرواد**، ج 1، ص 235، و**نفح الطيب**، ج 6، ص 214.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أما الاحتمال **الثاني** فنرى أن إمكانية حدوثه تفوق ما للاحتمال السابق من القبول، إذ من الجائز أن نسخة المصحف الإمام لم تَضِعْ في واقعة القيروان، وأنها نجت كما نجا السلطان أبو الحسن نفسه، ونجا معه جمع من جنده، ومن صحبه، ومن العلماء الذين اعتاد أن يستصحبهم معه في تحرّكاته، كما نجت معه مبالغ من المال ستمكّنه من محاولة مجابهة الوضع فيما بعد. ومن المعروف أن هذا السلطان الهمّام لم يثبط عزيمته تراكم المحن، ولم ييأس من إعادة الأوضاع إلى نصابها، واسترجاع عرشه وسلطته. فواجه الموقف الناتج عن النكبة التي تكبّدها في القيروان، وقيام ابنه عليه وخلعه، بشجاعة وحزم، فلمّ شمله، وتوجّه إلى تونس. وبعد أن ضمّد الجروح، ورتّب أمور جيشه ومرافقيه، ركب البحر في أسطول عظيم يتكوّن حسب أحمد المقري من ستمائة سفينة[123]. وأخذ وجهة الغرب طامعا في استعادة ملكه، وسابق سلطته وعزّه، إلا أن الأقدار كانت له بالمرصاد، فعاكسته مرّة أخرى. فبينما كان هذا الأسطول القوي يجوب البحر بين مدينة بجاية ومدينة الجزائر، هبّت عليه رياح عاصفة هوجاء، حطمت أكثر السفن، ومن بينها السفينة التي كانت تقلّ السلطان نفسه الذي لم ينجُ إلا بفضل خشبة تعلّق بها، فرمت به إلى الشاطئ[124]. ووقع ذلك بالضبط أمام مدينة تدلس وهي دلس الحالية[125]، في سنة 750 هـ/ 1349 م.

---

[123] **نفح الطيب**، ج 6، ص 214.

[124] وقال أحمد المقري عما جرى للسفن ونجاة السلطان: "فقضى الله تعالى أن غرقت جميعا ونجا (السلطان) على لوح..." نفح الطيب، ج 6، ص 214.

[125] تقع مدينة دلّس على بعد 106 كم شرق عاصمة الجزائر.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وبالإضافة إلى العدد الكبير من العلماء، وأفراد الجيش الذين هلكوا في غرق الأسطول هذا، ضاعت أيضا كلّ الذخائر التي حملها السلطان معه ، إذ يذكر مؤلف ***نفح الطيب*** أن السلطان قد نجا عريانا[126]، أي أنه لم يُنقَذ شيء من النفائس وغير النفائس التي كانت تحملها السفن. فهل كانت النسخة المغاربية من المصحف الإمام التي كانت قديما في جامع قرطبة ثم جابت مكرّمة معظّمة أقطار الغرب الإسلامي كلّها، من بين الذخائر التي فقدت في حادث غرق الأسطول المريني قرب سواحل الجزائر الحالية؟ يؤكّد هذا الافتراض كما سبق ذكره كلام المؤرّخ المغربي أحمد السلاوي[127] في كتابه ***الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*** حيث قال: "ركب أبو الحسن البحر من تونس قافلا إلى المغرب الأقصى، وذلك في إبان هيجان البحر، فغرقت مراكبه، وهلكت نفوس تجلّ عن الحصر، وضاعت نفائس يعزّ وجود مثلها، ومن جملتها المصحف العثماني. فكان ذلك آخر العهد به"[128]. إلاّ أن المؤرّخ لم يذكر مصدره على ما جرى عليه في أكثر من موضع في كتابه المذكور. وهذا ما ذهب إليه أيضا المؤرّخ المغربي المعاصر الأستاذ محمد المنوني. محدّدا ضياع المصحف في حادث غرق أسطول السلطان المريني أمام مدينة دلس. فقال: "وكان آخر العهد به أن تلف في البحر سنة 750 هجرية، عند غرق أسطول أبي الحسن في حادثة تونس الشهيرة ..."[129]. وكان من الجائز أن نظن أن الأستاذ المنوني قد اعتمد لإثبات

---

[126] نفح الطيب، ج 6، ص 214.

[127] توفي أحمد الناصري السلاوي سنة 1315 هـ/ 1897 م.

[128] الاستقصا، ج 2، ص 115.

[129] العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص 287.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هذه الرواية على مصادر لم نتمكن من الرجوع إليها، لولا أنه ذكر مصدره كعادته في أبحاثه القيمة، إذ أنه أحال على ***نفح الطيب*** لأحمد المقرّي، محدّدا الجزء، والصفحة التي اعتمدها للإدلاء بهذه الرواية. وعند رجوعنا إلى هذا النصّ الذي أحال عليه، اكتشفنا أن المقري لم يزد أن تحدث عن هلاك الأسطول المريني أمام تدلس، وعن عدد العلماء ممن كانوا يصاحبون أبا الحسن في تنقلاته كما سبق أن ذكرنا، والذين لقوا ربّهم في هذا الحادث. وليس في هذا النص أية إشارة إلى ضياع المصحف في حادثة غرق أسطول أبي الحسن[130].

وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل عن وجه الصواب بين هذين الافتراضين في مسألة ضياع النسخة المغاربية للمصحف الإمام. إلا أننا نرى أنه يجوز لنا استنادا إلى استنتاجاتنا السابقة، وإلى كلام المؤرّخ المغربي أحمد السلاوي سابق الذكر، أن نتقبّل فكرة ضياع نسخة المصحف الإمام في حادثة غرق الأسطول المريني أمام شواطئ المغرب الأوسط.

وما تجب إضافته أن الأستاذ محمد المنوني تراجع عما ذكر في مقال نشره بعد مدة طويلة من صدور الكتاب الذي أورد فيه الرأي السابق، فقال معلّقا في البداية على كلام أحمد الناصري: "ووهم الناصري، فذكر أنه غرق في نكسة الأسطول المريني عام 750 هـ/ 1349 م، والواقع أنه بقي على قيد الوجود إلى أواخر أيام أبي عنان[131]، وبعدها"[132].

---

[130] أحال المؤرّخ محمد المنوني على الطبعة المصرية القديمة لنفح الطيب، ج 1، ص 288.

[131] دام ملك أبي عنان من سنة 751 إلى 759 هـ / 1351 إلى 1358 م.

[132] محمد المنوني، مركز المصحف الشريف بالمغرب، في دعوة الحق (الربـاط)، عدد شوال 1387هـ/1968م، ص71-79.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويعتمد الباحث المغربي على شهادة شاهد عيان حسبما قال، وهو أبو إسحاق النميري مؤلف ***فيض العباب***[133]. وهو الذي ذكر أن المصحف العثماني كان يتقدّم موكبا للسلطان أبي عنان، على غرار ما كان يفعل أبوه والخلفاء الموحّدون من قبل، وكان ذلك سنة 758 هـ/ 1357م. فقال: "إنه تقدّم بين يديه قبّتان: الأولى فيها مصحف الخليفة عثمان بن عفان ﷺ. الذي هو أعظم ذخائر المغرب "[134].

ونجد عند مؤرّخَين آخرَين وهما عبد الرحمن بن خلدون، ومحمد بن مرزوق، كلاما يؤكّد ما ذكره أبو إسحاق النميري إذ قال الأول: متحدّثا عن المصحف: "وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين بفاس"[135].

أما صاحب ***المسند الصحيح الحسن*** ... الذي ألّف كتابه هذا في عهد السلطان أبي فارس الذي دام حكمه من سنة 767 إلى 774 هـ/ 1366 إلى 1372 م. فإنه قال في الموضوع متحدّثا عن نسخة المصحف: "واستمرّ بقاؤه والمنة لله في داره (يعني أبا الحسن)، وعلى ملك أولاده، وفي خزائنهم، يجرون فيه على المعتاد، نفعهم الله به"[136].

---

[133] الكتاب مخطوط محفوظ في الخزانة الملكية بالرباط تحت الرقم 3267.

[134] "فيض العباب"، ص 85 حسب ما ذكر الأستاذ المنوني في دراسته المنشورة في مجلة **دعوة الحق** في العدد لسابق الذكر.

[135] **العبر**، ج 7، ص 170.

[136] **المسند**، ص 461 462.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

غير أننا نرى أن كلام المؤرّخين الثلاثة، أبي إسحاق النميري، وعبد الرحمن بن خلدون، ومحمد بن مرزوق، قد أعوزه التدقيق إذ لم يزيدوا على أن قالوا إن المصحف بقي في حوزة خلفاء السلطان أبي الحسن المريني، وذكر أحدهم أن الكتاب يتقدّم موكب أحد الأمراء. ومهما يكن من أمر فإن أحدا من المؤرّخين الثلاثة لم يقدّم لنا أية معلومة محققة عن خاتمة مطاف هذا الأثر. وممّا يجب التنبيه إليه أن مؤلف ***العبر*** ومؤلف ***المسند*** اللذين عاصرا الدولة المرينية، وشاهدا عن كثب أكثر أحداثها، لم يكونا مقيمين في المغرب الأقصى عندما كتبا أن نسخة المصحف ما زالت موجودة في ذلك القطر. وبالإضافة إلى هذا، فإننا لا نفهم كيف بقيت النسخة موجودة، بعد الكارثة التي تكبّدها أبو الحسن قرب القيروان، وبعد غرق أسطوله قرب شواطئ المغرب الأوسط، وبعد أن فقد في الواقعة الأخيرة كلّ ممتلكاته، بحيث لم يتمكّن من النجاة بنفسه إلا مجرّدا من ثيابه. وإن قدّرنا أن النسخة قد نجت من هذه المحن المتتالية كلّها، فإن المغامرات الصعبة التي تكبّدها هذا السلطان من أجل استرجاع ملكه، والتي انتهت بقتله في جبال الأطلس من المغرب الأقصى[137]، كانت بدورها كافية لإتلاف النسخة المبجّلة وفقدانها. ومن الغريب أن المؤرّخين لم يذكروا لنا شيئا عنها في هذه الأحداث كلّها. ولهذا جاز لنا أن نميل إلى الرأي القائل إن نسخة المصحف العثماني ضاعت فعلا في الحركة التي قصد أبو الحسن من ورائها إلى ضمّ جميع أطراف الشمال الإفريقي إلى ممتلكاته وانتهت بالمآسي التي ذكرناها.

* * *

[137] راجع عن هذه الأحداث العبر، ج7، ص 593-597.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهكذا بعد أن اكتشفنا بالتفصيل كيف أن إحدى النسخ الأربع من المصحف الإمام التي كتبها صحابة رسول الله ﷺ بأمر من الخليفة الراشدي الثالث أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، قد وصلت إلى أقصى دار الإسلام في الغرب، وكيف أنها انتقلت بين عواصم أقطار الغرب الإسلامي: إلى الأندلس في أوّل المطاف، ثم المغرب الأقصى الحالي، يتبعه المغرب الأوسط أي الجزائر الحالية، ثم البرتغال، وأخيرا إفريقية أو تونس الحالية، وبعد أن استعرضنا كل ما خصّها به أهالي هذا الشطر من العالم الإسلامي وحكّامه، من ملوك وخلفاء، من تبجيل وإكرام، رأينا في النهاية أن المصادر التي رجعنا إليها، قد أسدلت فجأة الستار على هذه الرحلة الطويلة لهذا الأثر الثمين، تلك الرحلة التي بدأت في العقد الثالث من القرن الأول للهجرة في المدينة المنورة، ودامت سبعة قرون كاملة، تعرّضت فيها لصروف الدهر فجابت أقطارًا شتى، وتداولتها أيدٍ مختلفة، وقد انتهت الرحلة العجيبة على الأرجح حسب ما بيّنّا، بغرق هذه النسخة من المصحف الإمام، قرب شواطئ الجزائر الحالية. فكانت نهاية المطاف.

* * *

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القسم الثالث

المصادر والمراجع والكشافات

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصادر والمراجع

1- باللغة العربية

- الأبياري (إبراهيم) -**تاريخ القرآن**- بيروت، القاهرة، 1384 هـ/1964م.

- ابن الأثير الجزري (علي) -**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 5 مج - القاهرة، 1280 هـ.

- ابن بطوطة- **تحفة النظّار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار**. - بيروت، 1384 هـ/ 1964 م.

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين) -**الإصابة في تمييز الصحابة**، 4ج - القاهرة، 1328 هـ.

- ابن خلدون (عبد الرحمن) - **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر** ، 7 ج -بيروت، 1956 1959 م.

- ابن خلدون (يحيى) -**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح. وترجمة إلى الفرنسية (ألفريد بيل)، 3ج- الجزائر، 1321 1332هـ /1903-1913م.

- ابن سعد (محمد) -**الطبقات الكبرى**، 8 ج -بيروت، 1980 م.

- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) -**تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين**، تح. عبد الهادي التازي - بيروت، 1383هـ/ 1964م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- ابن عبد الملك (محمد) ·—**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح. محمد بن شريفة ·—بيروت، 1973 م.

- ابن فضل الله العمري ·—**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ·—القاهرة، 1942 م.

- ابن كثير (إسماعيل) ·—**فضائل القرآن**، ط. 4 ·— بيروت، 1979م.

- ابن مرزوق (محمد) ·— **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، تح. ماريا خيسوس بيغيرا ·—الجزائر، 1401 هـ/ 1981م.

- ابن النديم (محمد) ·—**الفهرست**، تح. مصطفى الشويمي ·—تونس، الجزائر، 1405 هـ/ 1985 م.

- الإدريسي (الشريف) ·—**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، انظر: ديسوس لامار، **وصف المسجد الجامع بقرطبة**.

- بابا خانوف (شمس الدين) ·—**نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف لها قصة** ·—في: العربي (الكويت)، ع322، سنة 1985، ص 38 47.

- البخاري (أبوعبد الله محمد)·—**صحيح البخاري**، 9ج·— بيروت 1958م.

- بوعيّاد (محمود آغا). **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، مقتطف من **نظم الدّر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم والأعيان** لمحمد ابن عبد الله التنسي، تح. وتعليق محمود آغا بوعياد ·—الجزائر، 1405 هـ/ 1985 م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- التنسي (محمد بن عبد الله). **نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان** ... راجع بوعياد (محمود آغا) ·—تاريخ بني زيان ملوك تلمسان.

- الجاحظ (أبو عثمان) ·—**رسالة فخر السودان على البيضان**، منشورة ضمن "**رسائل الجاحظ** " ·—بيروت، 1972 م.

- خطاب (محمود شيت) ·—**قادة الفتح الإسلامي: قادة فتح بلاد فارس: إيران** ·—بيروت، 1394 هـ/ 1974 م.

- ديسوس لامار (ألفريد) ·—**وصف المسجد الجامع بقرطبة**، مقتطف من "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"، للشريف الإدريسي، تح. وترجمة باللغة الفرنسية لألفريد ديسوس لامار الجزائر، 1949 (راجع أيضا المراجع باللغات الأجنبية).

- الزركشي (بدر الدين) ·—**البرهان في علوم القرآن** ·—بيروت، 1980 م.

- الزنجاني (أبو عبد الله) ·—**تاريخ القرآن** ·—بيروت، 1388هـ/1969 م.

- السجستاني (أبو بكر) ·—**كتاب المصاحف**، تح. آثر جفرى.— ليدن، 1355 هـ/ 1936 م.

- السيوطي (جلال الدين) ·—**الإتقان في علوم القرآن** ·—القاهرة، 1370هـ/ 1951 م.

- شحاتة (عبد الله محمود) ·—**تاريخ القرآن والتفسير** ·—القاهرة، 1392هـ/ 1972 م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- شريفي (محمد بن سعيد) ·—**خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري** ·—الجزائر، 1395هـ/ 1975 م.

- شيخ أمين (بكري) ·—**التعبير الفنّي في القرآن** ·—بيروت، القاهرة، 1393 هـ/ 1973 م.

- الصابوني (محمد علي) ·—**التبيان في علوم القرآن** ·—الجزائر، 1390 هـ.

- صالح (صبحي)·—**مباحث في علوم القرآن** ·—دمشق، 1381 هـ/ 1962م.

-الصفاقسي (الشيخ علي) ·—**غيث النفع في القراءات السبع**·—القاهرة، 1293 هـ.

- الطبري (محمد بن جرير) ·—**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. —القاهرة، 1373 هـ/ 1954 م.

- عباس (فضيل حسن) ·—**شبهات حول القراءات القرآنية**، في: دراسات: العلوم الإنسانية، ع3، سنة 1988 م، ص 129 156.

- الفيروزآبادي (مجد الدين) ·—**القاموس المحيط** ·—القاهرة، 1357 هـ/ 1938 م ·—5ج.

-قبيسي (محمد) ·—**تدوين القرآن الكريم، الوثيقة الأولى في الإسلام** — بيروت، 1981 م.

- القلقشندي (أبو العباس أحمد)·—**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 14ج ·— القاهرة، د. ت.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- **مخطوط نادر للقرآن الكريم بالقاهرة: دلائل على أنه قد يكون أحد مصاحف الخليفة عثمان بن عفان** ·—في: الشرق الأوسط، ع 3580، يوم 16 سبتمبر 1988.

- المراكشي (عبد الواحد) ·—**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح. محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي ·—القاهرة 1368 هـ/ 1949 م.

- المقرّي (أحمد) ·—**نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تح. إحسان عباس، 8ج ·—بيروت، 1388 هـ/ 1968 م.

- المنوني (محمد) ·—**العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**·—تطوان، ..... م؟.

- المنوني (محمد). **مركز المصحف الشريف بالمغرب** ·—في: دعوة الحق (الرباط)، ع شوال 1387 هـ/ 1968 م، ص 71 79.

- الناصري السلاوي (أحمد) ·—**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، 8ج ·—الدار البيضاء، 1373 هـ/ 1954 م.

- الولي (الشيخ طه) ·—**القرآن الكريم في بلاد الروسيا** (كذا) ·—في: المورد (بغداد)، المجلد 9، سنة 1981 م، ص 27 42.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

2- باللغات الأجنبية:

- Blachère (Régis). -**Introduction au Coran** ·–Paris, 1947.

- **Encyclopédie de l'Islâm** ·–Leyde, 1913 ..., T.III. p. 1215-1216, article : ***RAZI***.

- Dessus–Lamarre (Alfred) ·–**Description de la grande mosquée de Cordoue de ach-Charif al-Idrisi**, texte arabe et trad. française ·–Alger, 1949.

- Ibn Marzuq (Muhammad) ·– **El Musnad : Thechos mémorables de Abu l-Hasan Sultan de .... Benimerines**, trad. par Maria J. Viguera ·–Madrid, 1977.

- Lévi-Provençal (E.). .–**Histoire de l'Espagne musulmane**, 3 tomes·–Paris, 1953.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ترجمة ملخص الكتاب

إلى اللغة الفرنسية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

وحدة الرغاية، الجزائر

2004

Printed in Algeria

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

fut aussitôt entourée dignement et avec une grande piété, comparable à celle dont elle fut l'objet ailleurs, au cours de ses pérégrinations.

A la suite de la chute de Tlemcen entre les mains des sultans mérinides de Fès, la copie du Livre sacré –le Mus-haf-, tant convoité par tous les souverains de l'Occident, se trouva en leur possession, puis elle fit partie du butin saisi par l'armée portugaise, alliée des Espagnols, consécutivement à la défaite infligée à Abu-El-Hassan, sultan mérinide, à Tarifa (740 de l'ère hégirienne/1340 après Jésus-Christ). Rachetée, la mirifique copie va suivre et poursuivre les aventures rocambolesques d'Abu-El-Hassan, parti à la conquête de l'ensemble du Maghreb. L'odyssée s'acheva dans les écumes tragiques d'une forte tempête, avec un naufrage en guise d'épilogue, à proximité des côtes algériennes plus précisément en face de Dellys, drame au cours duquel la flotte d'Abu-El-Hassan fut décimée. Le Koran disparut avec la plupart des compagnons du souverain ainsi que tous ses biens.

C'est cette aventure extraordinaire qui dura plus de huit siècles, de Médine où la copie fut collationnée puis élaborée, jusqu'à sa disparition tragique à quelques encablures d'un port algérien, à une centaine de kilomètres à l'est d'Alger, où elle fut engloutie par les flots, c'est ce récit que j'ai tenté de faire connaître, découvrir à notre jeune lectorat maghrébin, pour contribuer à leur initiation aux cultures civilisationnelles et universelles de notre prestigieux patrimoine.

Alger le 12 Janvier 2003

Mahmoud-Agha BOUAYED

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

garda une par-devers lui à Médine, et adressa les trois autres à des provinces de *la Maison de l'Islâm*. Désirant éradiquer toutes les sources de divergences et de contestations, 'Uthmân ordonna de détruire, par le feu ou l'eau, tous les autres documents renfermant des versets du Koran, ne laissant aux Musulmans que la recension mise au point par Zayd Ibn-Thâbit et ses compagnons. Et peu à peu, le corpus du troisième Khalife s'imposa à tous les Musulmans, quelles que fussent leurs rites ou leurs sectes.

* * * * * *

Il s'ensuit qu'une des trois copies du Koran envoyées dans les provinces - celle de Damas - aboutit en Occident musulman. Et ce sont les péripéties mirobolantes que connut cet exemplaire du Koran qui fut l'objet de la deuxième partie de ce récit, la première ayant été consacrée à l'histoire de la fixation scripturaire du Livre sacré.

La copie du corpus de la Révélation, transmise par 'Utmân à Damas, dont les Omeyades feront la capitale de leur royaume, fut expédiée à Cordoue en Espagne, à 'Abdurrahmân premier le fondateur de la dynastie omeyade d'Occident. Cette copie fut, comme on l'imagine, l'objet d'une grande vénération et comme plus tard dans le Maghreb, d'un cérémonial impressionnant qui accompagnait rituellement les déplacements du texte sacré, que les Compagnons du Messager de Dieu -*béni soit-il*-, avaient, avec une pieuse minutie, transcrit à Médine. Après la chute de la dynastie omeyade d'Espagne, la copie fut ravie par un émir almohade à la mosquée de Cordoue où elle était précieusement conservée, pour être transportée à Merrakech, capitale des Almohades. Au moment du déclin de cette dynastie, un des derniers émirs, qui se faisait accompagner dans tous ses déplacements par le Koran, constamment entouré par la solennité impressionnante du cérémonial dont il était l'objet, le perdit lors d'une bataille contre Yaghmorassân le fondateur de la dynastie zyanide au Maghreb central. A Tlemcen, capitale de ses nouveaux propriétaires, la copie

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

étendu, extension accompagnée de la conversion des habitants des vastes régions conquises, originaires de confessions et d'ethnies diverses. Conséquences de cette situation nouvelle, de profondes divergences dans la lecture du Livre sacré virent peu à peu le jour. La simplicité de la graphie -l'écriture ne connaissait aucune voyelle- et celle d'une orthographe purement phonétique en usage à cette époque -les lettres n'avaient pas de points diacritiques- ne rendaient pas aisée la récitation des versets pour les nouveaux convertis. Il en était de même d'ailleurs, pour les communautés arabes rurales ou citadines, la plupart analphabètes composant les armées des conquêtes. Seules les personnes connaissant par cœur les versets, étaient en mesure de déchiffrer correctement les Ecritures. Et le Messager de Dieu n'était plus de ce monde, pour arbitrer les contestations ou toutes autres querelles concernant la lecture du Livre sacré. Réalisant l'extrême danger de cette situation, 'Uthmân, le troisième Khalife (décédé en 35 de l'ère hégirienne / 656 après Jésus-Christ), prit la décision de mettre un terme à ces divergences dans les méthodes et procédures de récitation. Il constitua une commission au sein de laquelle nous retrouvons Zayd Ibn-Thâbit, l'ancien secrétaire du Prophète, pour fixer officiellement la lecture des versets révélés prenant pour base de son travail, les feuillets (suhuf) élaborés du temps d'Abu-Bakr. La commission fit appel à tous les fidèles pour lui communiquer les supports matériels en leur possession, sur lesquels étaient transcrits les versets et de lui faire part de la lecture qu'ils connaissaient. Dès lors le texte définitif, le corpus fut ainsi établi d'une part, grâce au collationnement des documents écrits et d'autre part, grâce à la mémoire qui constitua et constituera à travers les âges, l'outil le plus crédible et le plus usité pour la conservation et la transmission du texte du Livre sacré.

Les traditionalistes -collecteurs et spécialistes du Hadîth- et les historiens ont relevé la rigueur et le sens aigu de la responsabilité dont firent preuve les quatre membres de la commission constituée par 'Utmân. Leur travail achevé, le Khalife leur ordonna de réaliser quatre copies transcrites sur du parchemin, de ce texte officiel –le Mus-haf- qu'ils venaient d'accomplir. Il en

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

le moyen le plus fiable pour fixer, conserver puis transmettre les textes de la Révélation. Mais le Messager de Dieu prit parallèlement la précaution de consigner graphiquement par des scribes, les versets révélés, sur des matériaux divers disponibles dans l'environnement du Hidjaz à cette époque : peaux d'animaux, pierres calcaires plates, omoplates de moutons et de chameaux, palmes et fragments de poterie. Nous aurons à rencontrer un de ces scribes, Zayd Ibn-Thâbit un jeune médinois qui connaissait le syriaque et l'hébreu, à toutes les étapes de la constitution du texte officiel du Koran, mais le Prophète de son vivant n'avait pas entrepris de réunir toutes les sourates révélées en un codex. Il laissa à sa mort, l'ensemble des versets, éparpillés sur les divers matériaux sur lesquels ils furent transcrits. La mémoire restait cependant, le véritable support mnémonique dépositaire de la Révélation.

* * * * * *

Sous le premier Khalife Abu-Bakr, lors d'une bataille, un grand nombre de «qurra'» perdit la vie. 'Umar Ibn-El-Khattâb le futur successeur d'Abu-Bakr, fut effrayé par les conséquences de la mort de ces valeureux Compagnons qui conservaient *dans leur poitrine*, l'ensemble des versets révélés. Redoutant avec effroi et lucidité la disparition d'une partie du Koran, 'Umar s'ouvrit au Khalife Abu-Bakr qui fut terrifié par l'idée d'entreprendre un acte que le Prophète lui-même de son vivant, n'avait pas accompli. 'Umar réussit cependant, à le convaincre. Et c'est ainsi qu'Abu-Bakr chargea l'ancien secrétaire du Messager de Dieu de collecter, tous les textes auprès des fidèles, qu'ils fussent conservés et fixés par les supports de l'écrit, ou par la mémoire. Zayd s'acquitta de sa mission et remit au Khalife, les textes regroupés dans des *suhuf* (des feuillets).

Ensuite, durant la période qui suivit, aucune action ne fut vraisemblablement entreprise et ce, jusqu'au khalifat de 'Uthmân. Entre-temps, le *Dâr-al-Islâm* (la Maison de l'Islâm) s'est beaucoup

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

Résumé de l'ouvrage

*L*es tribulations mirifiques survenues à l'un des quatre exemplaires, de la recension officielle du Livre sacré –le Mus-haf-, élaborée sous la direction du Khalife 'Uthmân Ibn-'Affân, sont dignes d'une saga époustouflante, aux rebondissements les plus extraordinaires. Cette histoire mouvementée, retracée comme un récit d'écume, dans les pages glorieuses de notre civilisation, pour n'être connue que des spécialistes et des érudits, est malheureusement ignorée de notre grand public constitué en majorité, aujourd'hui, par la remarquable jeunesse de notre lectorat. La copie du Livre sacré partie de Médine fut, après avoir été la propriété des Khalifes omeyades à Damas, échangée parfois de gré, et le plus souvent de force, selon les aléas des circonstances, entre différents possesseurs dans l'Occident musulman constitué des trois pays du Grand Maghreb et de la Péninsule ibérique.

L'élaboration scripturaire elle-même de ce corpus de la Révélation, par les Compagnons du Messager de Dieu *-béni soit-il-* est une histoire des plus attachantes et des plus prodigieuses, par le ressourcement de son historicité spirituelle. Nous savons que la Révélation a duré pendant plus de deux décennies –vingt-trois années lunaires exactement- et que la parole divine était transmise au Prophète, selon les nécessités des événements et des circonstances consécutives à des étapes et à des époques socio-historiques connues. Les textes révélés étaient sur le champ communiqués aux fidèles, qui les retenaient *par cœur dans leur poitrine*, pour effectuer leurs prières quotidiennes ou pour les réciter le plus souvent en groupe, par dévotion. Un certain nombre de Compagnons maîtrisaient mnémoniquement le texte de la Révélation intégralement ou en grande partie ; c'étaient les *qurra'* (les lecteurs), tandis que d'autres ne retenaient que quelques versets pour s'adonner à leurs prières. C'est ainsi que la mémoire constitua

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

Mahmoud-Agha BOUAYED

L'EXTRAORDINAIRE AVENTURE D'UNE COPIE DU MUS-HAF DU KHALIFE 'UTHMAN EN ESPAGNE ET AU MAGHREB

Texte en langue arabe
Résumé en langue française

Publié avec le concours du Haut Conseil Islamique

ENAG/EDITIONS

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

L'EXTRAORDINAIRE AVENTURE D'UNE COPIE DU MUS-HAF DU KHALIFE 'UTHMAN EN ESPAGNE ET AU MAGHREB

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

L'extraordinaire aventure d'une copie du Mus-haf du Khalife 'Uthman en Espagne et au Maghreb

Texte en langue arabe
Résumé en langue française

Mahmoud BOUAYED

Avec le concours
du Haut Conseil Islamique

ENAG
EDITIONS

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية